لمن لا يعرف الإسلام

تعريف عام

بجوهر الدين الإسلامي وأبعاده الإنسانية

لمن لا يعرف الإسلام

تعريف عام

بجوهر الدين الإسلامي وأبعاده الإنسانية

أ.صادق سيف علي

طبع هذا الكتاب

على نفقة الراجي غفران الله ورحمته

محمد عبد القادر سعيد عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

اســـم الكتـــاب : لمن لا يعرف الإسلام – تعريف عام بجوهر الدين الإسلامي وأبعاده

الـــمـــــــؤلف : أ . صادق سيف علي .

مقاس الصـفحة : ١٧ × ٢٤ سم .

عدد الصفحات : (٢٤٢) صفحة .

الـــطـبـــــــعة : الأولى ١٤٣٩هـ .

الإهداء

أهدي جهدي هذا المتواضع إلى من أرسله خالقه رحمةً للعالمين رسول الله محمد بن عبد الله.

كما أهديه إلى كل مسلم ومسلمة.

رجائي من الله أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعله أداة لهدايتي وهداية كل من يطلع عليه ..

الإسلام

الدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده..

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩].

هو منهج رباني ينظم العلاقة بين البشر وخالقهم وبين الإنسان وأبناء جلدته كما أنه نظام رباني موجه لكل متطلبات البشر الجسدية والروحية.

الدخول بالإسلام

أن تقول معتقدًا: **"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"**.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستهديه، وأعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله عبده ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، ثم أما بعد:

بما أن رب العالمين خالق الكون، وكل ما يحويه من مخلوقات، ولأنه خالق البشر، والعالم بما يصلح أحوالهم في حياتهم الدنيا ارتضى لهم الدين الإسلامي، الدين المشتمل للمبادئ، والقوانين، والتشريعات الربانية، الحاوي لكافة الموجهات التي من خلالها يحصل الإنسان.

على الطريقة المثلى في إشباع رغباته المادية، والنفسية، وبحيث يحصل على توازنه المادي، والنفسي، وذلك في إطار ما يحبه خالقه، ويرضاه من أعمالٍ، وأقوالٍ، وعبادات.

ولأن المشاهد خلال القرن الحادي والعشرين من مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حصول حملة عدائية غربية تجاه الإسلام، أفضت إلى تشويه الإسلام، لدى الكثير من سكان الغرب، هذا من جانب ومن جانب آخر مما أدى إلى تغذية تلك التشوهات

ممارسة بعض المنتمين للإسلام للعنف المنظم، والمتمثل بجرائم الإرهاب، المفضية إلى مقتل العشرات، وأحيانًا المئات من الناس، الأبرياء والذين لا ناقة لهم

فيها ولا جمل، ومن تلك الجرائم والمجازر.

البشرية الناجمة إما من جراء تفجير الأشخاص لأنفسهم، عبر الأحزمة الناسفة، أو عبر السيارات، أو الناقلات المفخخة كالتي في العراق، وسوريا، وتركيا، وفرنسا، أوفي غير تلك الدول.

وسواءً أكانت الخلفية لمنفذي تلك الجرائم البشعة من بعض معتنقي الإسلام نظرتهم القاصرة في فهم الدين الإسلامي، ومن ثم طريقة التعامل مع المخالفين لهم بالفكر، والتوجهات من معتنقي الإسلام، أو غيرهم، عبر تلك الأعمال الإرهابية، أو قيامهم بتلك الجرائم البشعة نتيجةً لارتباطهم بمنظمات غربية، تحرص على تشويه الدين الإسلامي، ومن خلال أبنائه، الشاهد بكلا الحالتين وحقيقة أن الدين الإسلامي بريء من كل ما يلصق به من جرائم إرهابية، بشعة وسواءً أكانت من قبل المنتمين له، أو من قبل أعدائه، ومما سبق بفضل الله وعونه أردنا خدمة الإسلام، وذلك بأن نقدم جهدًا ملموسًا لمن لا يعرف الدين الإسلامي، وسواءً أكانوا من قبل أبنائه، أو من قبل من لا يؤمن به، بهذا الجهد والذي ما هو في حقيقة الحال إلا قطرات مستنبطة مما احتواه دستور الإسلام، المتمثل بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وكل ما يحويه هذا الدستور يعد الصورة الحقيقية للدين الإسلامي، ومنهجه كفيل بكل من يطلع عليه بإعطائه الطريق السوي، المستقيم، الطريق الذي يبني لا يهدم، الطريق المفضي إلا عزة الإنسان، وكرامته، الطريق النابذ لكافة الأعمال الإجرامية الإرهابية، وفي مختلف صورها، الطريق المفضي إلى مرضات رب العالمين، والمفضي للنعيم الدائم في الحياة الأبدية، هذا الجهد المتمثل بإعطاء صورة واضحة المعالم عن خلفية وأبعاد وجوهر الدين

الإسلامي، المتمثل بإحياء النفس البشرية عامة، والنفس المسلمة خاصةً، وليس ذلك فحسب بل وسلامتها، وعزتها، وكرامتها، وحرصه على أن تعيش في ظله النفس البشرية عامةً، والنفس المسلمة خاصة، رفيعة عن كافة النقائص، والرذائل، وذلك كما أسلفنا من خلال الأخذ بالنهج الرباني، المتمثل بالدستور الرباني، القرآن الكريم، والسنة النبوية المشتملان للتوجيهات كافة، والإرشادات، والقوانين الشاملة، والمنظمة لكل ما يحتاجه الإنسان، في إشباع رغباته النفسية، والجسدية ومن ثم يتحقق الغاية التي خلق من أجلها كافة البشر، ألا وهي عبادة خالقهم، عن وعيٍ، وفهمٍ، وعلم.

مكونات الكتاب:

يتكون من أربعة أبواب.

الباب الأول مسوغات الدخول بالإسلام.

يتكون من تسعة فصول.

الفصل الأول المسوغات التي تحارب الجريمة.

الفصل الثاني المسوغات العقدية.

الفصل الثالث المسوغات الأسرية.

الفصل الرابع المسوغات الاجتماعية.

الفصل الخامس المسوغات الأخلاقية.

الفصل السادس الجنس في الإسلام.

الفصل السابع المعاملات المالية في الإسلام.

الفصل الثامن المسوغات الصحية.

الفصل التاسع مسوغات الاهتمام بالروح والعقل.

الباب الأول: مسوغات الدخول بالإسلام.

وفي هذا الباب سلطت الأضواء على بعض المواضيع الهامة والمرتبطة وبشكل أساسي على حقوق الإنسان، وعلى الأخص حقوق معتنق الإسلام، وواجباته وأبرزها حقوق المرأة، هذا الحق الذي كثيرًا ما تثيره الدول الأوربية، وتطالب مختلف الشعوب بإعطاء النساء حقوقهن كافة، وبكون معظم سكان الدول الغربية وحتى الشرقية يجهلون حقيقة نظرة الإسلام للمرأة، ومن هنا كان لي أن أظهرتُ الكثير من التوجيهات والتشريعات الربانية في خصوص حقوق المرأة، ابتداءً من ولادتها وإلى أواخر عمرها، كما حرصت في هذا الباب على تناول الكثير من المواضيع المرتبطة بحقوق البشر تجاه أبناء جلدتهم، وحثّ رب العالمين معتنقي الإسلام على أن يعيشوا مسالمين، ومعايشين ولكافة من يخالفهم في الدين، وبهذا الباب أي مسوغات الدخول في الإسلام ارتجيت من ورائه بأن يكون أداة لصلاح النفس المسلمة، وعونها على سلوك الطريق السوي المستقيم، المفضي إلى مرضات رب العالمين، ومن ثم النعيم الدائم في الحياة الأبدية، كما رجوت من وراء هذا الباب وبقية الأبواب التالية بأن تكون حافزًا لكل من يطلع عليه من غير أبناء معتنقي الإسلام وذلك أولًا بالتعرف على حقيقة أبعاد الدين الإسلامي، وثانيًا بأن تكون أداة جذب لاعتناق دين رب العالمين الدين الإسلامي.

الباب الثاني: اركان الإسلام والإيمان.

يتكون من فصلين:.

الفصل الأول: أركان الإسلام.

الفصل الثاني: أركان الإيمان.

الباب الثاني: أركان الإسلام والإيمان.

وفي هذا الباب إضافةً إلى ذكري لأركان الإسلام والإيمان تطرقت إلى محفزات اعتناق الدين الإسلامي، وذلك بذكر الكثير من أشكال النعيم المستحق لعباد الله في الحياة الأبدية، ذاك النعيم الذي وُصف بأنه لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولا خطر على قلب بشر، كما حرصتُ على التطرق إلى العذاب المهين لكل من لا يعتنق دين خالقه، أو لعصاة رب العالمين، أي من قبل معتنقي دينه.

الباب الثالث الملك والحكم بنظر الإسلام.

يتكون من ثلاثة فصول.

الفصل الأول: السلطة التنفيذية.

الفصل الثاني: السلطة التشريعية.

الفصل الثالث: السلطة القضائية.

الباب الثالث الملك والحكم على بنظر الإسلام.

بتغني الدول الغربية بابتكارها للنظام الديمقراطي، والذي من خلاله أصبحت شعوبهم تحكم نفسها وبنفسها، وعبر دساتيرها المستقاة من وحي

تجاربهم بتلك النظرة في هذا الباب أبدينا أسبقية الدين الإسلامي بحكم معتنقيه، وذلك من خلال المنهج الرباني المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية، والذي من خلاله أوردت بعض المبادئ، والقوانين، والتوجيهات الربانية، المتكفلة بصلاح البشر، وعزتهم، وكرامتهم ذاك الدستور الرباني الذي قام بسن القوانين البشرية المستعصية عن الحلول البشرية، بينما الدستور الرباني باحترامه لعقلية البشر ترك لهم الباب مفتوحًا وذلك للاجتهاد في سن القوانين المنظمة للوصول إلى سلطة الدولة، وكذلك سن القوانين المستجدة من تطورات البشر، وبما يتلاءم مع مصالحهم، وبحسب الزمان، والمكان ولجذب من لا يعرف الإسلام في هذا الباب ذكرت الكثير من القوانين الربانية المصيرية في حياة البشر كقوانين المواريث، وغيرها.

الباب الرابع: يتكون من فصل واحد: الإسلام موجه للبشر كافة.

الدين عند رب العالمين هو الإسلام، وهذا الدين ارتضاه الله للبشر كافة، وهو موجه للبشر كافة، وكل منتمي للدين الإسلامي معني بأن يبلغ دينه خالقه ولو بكلمة، ومن هذا المنطلق هذا الباب يتحدث عن دعوة الناس للدين الإسلامي وأبرز المناطق والدول التي وصل إليها الإسلام ابتداءً من عصر رسول الله وإلى يومنا هذا.

الباب الأول
مسوغات الدخول بالإسلام

الفصل الأول
المسوغات التي تحارب الجريمة

لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك

الدين الإسلامي دين حياة، دين سلام، دين تسامح، وتعاليمه الربانية دائمًا وابدًا تحث معتنقيه على تعمير الأرض لا افسادها، وتحث على إحياء النفس البشرية لا ازهاقها، ولأي سبب من الأسباب إذا أقدم شخص على تهديد معتنق الإسلام بالقتل هذا الشخص بإدراكه لقول خالقه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] وأنّ جزاء قاتل النفس ظلمًا وعدوانًا في الحياة الأبدية يتمثل بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

فإن ذلك الشخص المقدِم على قتل النفس قد يتراجع، وإن لم تنفعه موعظة خالقه، وأقدم على تنفيذ توعده ما لم يتب، فجزاءه ما بينه خالقه في الآية السابقة[١] بالمقابل الشخص المهدد بإزهاق روحه، إن تأكد له أن متوعده بالقتل

(١) السنة لأحمد الخلال (ج ٤ ص ٩٣).

سينفذ تهديده باستشعاره أن حياته أصبحت في خطر، لن يسبق متوعده بالقتل بإزهاق روحه، بغية إنقاذ حياته، وما ذلك إلا لأنه يستمد تعاليمه في معالجة مشاكله من القرآن الكريم، والقرآن الكريم يوجه منتسبيه في حل هذه المشكلة بقوله تعالى ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨]، وبادراك المسلم أن الحياة الدنيا ما هي إلا سنين وأشهر معلومة، وسيرحل عنها وليستقر في الحياة الأبدية، باستشعاره أن أي نعيم في الحياة الدنيا مهما بلغ درجته لن يطول، فبمفارقته للحياة الدنيا ينتهي ذاك النعيم ولأنه يدرك ويستشعر أن النعيم الدائم في الحياة الأبدية، وفي سبيل الحصول عليه يلزم نفسه توجيهات خالقه، وذلك بمقابلة من يهدد بإزهاق روحه بالإحسان إليه، وتذكيره بمصير من يقدم على جريمة القتل ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة:٢٨-٢٩].

في ظل الإسلام عدوك كأنه أكبر صديق:

عدوك -دائمًا- يكيد لك، ويتمنى هلاكك، ومع هذه النفس المريضة وديمومة سعيها صوب هلاكك، إلا أن الإسلام يطالبك بالصبر على أخطائها ومغفرة زلاتها، وليس هذا فحسب بل معاملة العدو وكأنه أكبر صديق ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤]، وبصبرك على عدوك، والاحسان إليه، ستنال أجرك من رب السموات والأرض، وسيعلي من قدرك في الحياة الأبدية إذا ما عدت إليه، هذه

المرتبة لن يصل إليها إلا ذو حظ عظيم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]، هذا التسامح من شأنه أنه قد يقلب الموازين، وذلك بإمكانية مراجعة الظالم لنفسه، ومن ثم يندم ويتوب من جرائمه، وأما المظلومون بصبرهم وعفوهم عن ظالميهم كما أسلفنا، بالمقابل سينالون الدرجات العالية من قبل خالقهم، وعدالة الإسلام لا تتوقف عند حد التعامل بين المسلمين، بل تطالب المنتمين للدين الإسلامي بأن يتعاملوا مع أعدائهم، ممن لا يدينون بدينهم بالعدل، والقسط، في حالة السلم.

وفي حالة العداء معهم يوجه رب العالمين المسلمين بأن يعدلوا معهم، ولا يجعلوا من العداء أن يقودهم إلى الظلم والجور، وفي هذا الصدد من التوجيهات الربانية لمعتنقي الإسلام قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

جزاء قاتل النفس البشرية في ميزان الإسلام:

الدين الإسلامي دين سلام، ويتعايش مع كل منتمي الأديان، ولأهمية السلام وجه رب العالمين المنتمين للإسلام بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

[البقرة:٢٠٨]، وليس ذلك فحسب بل ينظر الإسلام للنفس البشري نظرة اجلال واكرام، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، ومن توجهات الإسلام أنه.

يدعو معتنقيه إلى إحياء النفس البشرية، لا إزهاقها، ويعتبر من أحيا نفسًا كأنه أحيا الناس جميعًا(١)، ومن صور الإحياء التمكن من انقاذ شخص من موت محقق، بإنقاذه للنفس من الموت كأنه بعمله أحيا الناس جميعًا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

ومن تمادى في ظلمه، وقتل النفس التي حرم رب العالمين قتلها، كان جزاءه في الدنيا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وان حصل القتل على سبيل الخطأ كان عليه الكفارة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ

(١) الموسوعة القرآنية للإباري (ج ١ ص ٢٧٤٨).

أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٩٢-٩٣]، وأما جزاء قاتل النفس ففي الحياة الأبدية يندرج في إطار قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩].

ولأهمية إحياء النفس البشرية ومغبة أن يصيب المسلم دمًا حرامًا في نظر الإسلام مما بينه رسول رب العالمين محمدٌ بن عبدالله ﷺ في قوله: «**لا يَزَالُ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»(١).

ومن يقتل مؤمنًا متعمدا وكما أسلفنا كانت عليه العقوبة المغلظة في الحياة الدنيا، وفي الآخرة فأما في الحياة الدنيا فالنفس بالنفس، وعبر ولي أمر المقتول ومن خلال السلطة يُقتل القاتل ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾ [الإسراء:٣٣].

وإذا ما توفي القاتل ولم يتب عن ذنبه فجزاؤه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن

(١) صحيح البخار (ج ٩ ص ٢).

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، ولأهمية النفس المؤمنة لدى خالقها قال رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**»(١).

ولتحقيق عدالة رب العالمين المطلقة، ومحاسبة القتلة برحيل البشر كافة من الحياة الدنيا إلى الحياة الأبدية أول إنصاف للبشر هو القصاص بالقتلة قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٢).

في ظل الإسلام اشهد على نفسك:

في ظل الدين الإسلامي المسلم مطالب إذا دعت الحاجة أن يشهد على أقاربه، كأعمامه وأخواله، بل يشهد على أعز الناس على قلبه وهما والديه، ولو حصل الخطأ من قبله يطالبه الإسلام بالاعتراف والشهادة على نفسه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

---

(١) سنن النسائي (ج ١٢ ص ٣٣٧).

(٢) مسند ابن المبارك (ج ١ ص ٥٩).

جزاء قتل الإنسان لنفسه:

حب الإنسان لنفسه، وتمسكه بالحياة من الغرائز الطبيعية، ولا يقدم شخص على قتل نفسه إلا إذا أظلمت الدنيا في نظره، نتيجة لظروف الحياة المعقدة، فإذا قست الحياة عليه، وتنكر له القريب والبعيد، قد يوصل به الحال إلى ازهاق نفسه، هذا إذا كان هذا الشخص من مستوى الدخل المحدود ، أو كان فقيرًا، وقد يُقدم الإنسان الثري في إزهاق روحه، وذلك إن كان هذا الشخص لا يستشعر أن الحياة الدنيا ما هي إلا دار ممر إلى دار مقر، وأن الحياة الأبدية هي الدار الآخرة، وقد يقدم شخص على إزهاق روحه وسواء كان فقيرًا أو غنيًا إما لمواجهته مشكلة لا حلّ لها، أو نتيجة لتعبئة ذهنه بضرورة القيام بعمل معين وإن أدى إلى مقتله، وبكل الأحوال روح الإنسان ليست رخيصة، ولم يمنح رب العالمين الإنسان روحه إلا لغاية سامية حميدة وهي عبادته، ولأن رب العالمين واهب الروح ولأهميتها حذر من مغبة من يقدم على قتل نفسه بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٢٩-٣٠]، وفي هذا الصدد مما قاله رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي النَّارِ ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**»(١)، ونهى الإسلام المسلم أن يتمنى الموت فضلًا على أن يقتل نفسه لقول النبي ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ**

(١) مسند الطيالسي (ج ٤ ص ١٦٦).

أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِى مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِى وَتَوَفَّنِى إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِى»[1] ولن يقدم الإنسان بقتل نفسه إلا نتيجة لجهله بتعاليم خالقه.

أول قاتل من البشر:

قتل النفس البشرية ظلمًا وعدوانًا من الجرائم الجسام، ولا يرتكبها انسان مؤمن بخالقه، ومع ذلك بعصيان البشر لأوامر خالقهم.

منهم من يقدم على ارتكابها، وأول إنسان ارتكب جريمة القتل ظلمًا وعدوانًا هو قابيل بن أبي البشرية آدم عليه السلام.

وسبب ارتكاب جريمة القتل من قبل قابيل لأخيه هابيل أن قابيل وهابيل قدما كل منهما لخالقهما قربانًا، فتقبل رب العالمين قربان هابيل بن آدم، وذلك لكونه من الصالحين المتقين، ولم يتقبل قربان أخيه قابيل لكونه من الظالمين ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ [المائدة:٢٧]، حينها تمكن إبليس عدو البشرية من تأجيج الكره في قلب قابيل تجاه أخيه هابيل، وبلغ به الكره أن توعد أخاه بالقتل، بسماع هابيل لتهديد أخيه بين له أن سبب عدم تقبل خالقه لقربانه عدم صلاحه[2]، وأنه نتيجة لأخطائه أصبح خارج نطاق المتقين ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، بنصح هابيل لأخيه قابيل، وعدم استشعار قابيل بخطئه، وإصراره على قتل أخيه، خاطبه أخوه

---

(١) صحيح مسلم (ج ٨ ص ٦٤).

(٢) العواصم من القواصم لمحمد المعافري (ج ١ ص ١٤١).

بقوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨].

ومع هذا الخطاب اللين لم يلن قلب قابيل، فما كان من هابيل إلا أن ذكره بعقاب خالقه لمن يقوم بجريمة القتل، وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩]، مع ذلك طوعت لقابيل نفسه قتل أخيه هابيل﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠].

بقتل قابيل لأخيه هابيل أصبح أول انسانٍ أزهق نفسًا ظلمًا وعدوانًا، كما أصبح هابيل أول مقتول من بني البشر ظلمًا وعدوانًا.

رد العدوان في ميزان الإسلام:

من اعتدى على شخص سواءً أسمعه كلمات سيئة، أو قام بضربه، أو أخذ عليه مبلغًا من المال، أو اعتدى عليه بأي شكل من أشكال الظلم، بحلول الألم والظلم عليه، أباح له الإسلام أن ينتقم لنفسه، وذلك برد العدوان على المعتدي، شرط أللا يزيد فوق حد المعتدي، فمثلًا لو قام الشخص المعتدي بلطم شخص لطمتين من حق المعتدَى عليه أن يرد عليه بلطمتين، وبنفس المستوى، أما اذا تجاوز ذلك أصبح أي المظلوم ظالمًا لصاحبه، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤]، ورد العدوان لا يكون مباحًا في أي اعتداء[1]فمثلًا لو شخص قام بسرقة انسان، لا يحق للشخص

(١) اعجاز القرآن للباقلاني (ج ١ ص ٢٧١).

المعتدَى عليه أن يرد العدوان بقيامه بسرقة المعتدِى، ففي مثل هذه الحالة وغيرها من الجرائم المماثلة لها يمكن للشخص المعتدَى عليه أن يتحصل على حقوقه عبر سلطات الدولة المناطة بذلك، بحلول الظلم وتأجج دافع الانتقام مما سبق كان للإسلام توجيه معتنق الإسلام صوب السلوك الذي يصلح لا يفسد، يبني لا يهدم، وذلك بتوجيه المظاليم وخاصة أولئك الذين بإمكانهم أن يردوا العدوان بتحمل أخطاء الآخرين، والصبر على ظلمهم، مقابل أن يعلي الله من قدرهم في الحياة الأبدية، ذلك في حالة الاعتقاد بأن صبرهم وعفوهم عن الظلمة سيثمر في صلاح الظلمة، وأما إن كان العفو والصفح عن ظلم الظلمة سيجعلهم يزدادون ظلمًا وعدوانًا فالأولى رد عدوانهم ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠]، وأما مرتكبي السيئات وسواءً تجاه أنفسهم، أو أبناء جلدتهم، فإذا لم يتوبوا ويكفروا عن سيئاتهم في حياتهم، وخاصةً تجاه من عفى عنهم، أو من عجز عن رد عدوانهم فعقوبتهم تتمثل في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧]، وعدالة الإسلام لا تقتصر على المسلمين بل شاملة لكافة البشر.

من يرتكب جريمة ويلصقها ببريء في ميزان الإسلام:

من يرتكب جريمة سواءً أكانت صغيرة أم كبيرة ولم يطلع الناس على جريمته، فإن أقدم هذا الشخص بتبرأة نفسه، وألصقها بشخص بريء، بتمكنه من تبرأة نفسه في الحياة الدنيا، وإلحاق الضرر بغيره، ولأن الحياة الأبدية هي الحياة الأخرى، فمن هنا حذر الإسلام معتنقيه من مغبة من يقوم بهذه الجريمة، بقول

رب العالمين: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢].

بل إن عدالة الإسلام في عصر رسولنا محمد بن عبد الله ﷺ برأت اليهودي، وأدانت المسلم، فعندما سرق أحد معتنقي الإسلام درعًا، وبافتضاح أمر الدرع كان المسلم، قد تمكن بأن يلصق تهمة السرقة برجل يهودي، ولأن هذه الحادثة لا يعلم بها رسول الله ﷺ، فمع تألم اليهودي من هذه التهمة المشينة، وعدم تمكنه من تبرأة نفسه، أوحى رب العالمين لنبيه بأن اليهودي بريء، وأن السارق هو المسلم، بذلك كانت عدالة رب العالمين عبر الدين الإسلامي أن انتصرت للمظلوم اليهودي من الظالم المسلم(١).

الظلمة في ميزان الإسلام:

أي انسان إن كان ظالمًا لنفسه، أو لوالديه، أو لأقاربه، أو لأبناء جلدته من منتمي الدين الإسلامي، أو من ذويهم، فخلال حياته بديمومة ارتكابه للمظالم، إذا لم تستطع السلطات أن تقبض عليه، وتنصف المظلومين منه، وذلك بعدم تركه للأدلة التي تثبت جرائمه، بنفاذه من العقوبة في الحياة الدنيا لن تضيع جرائمه سدًا، فاذا توفي هذا الظالم وهو ظالمٌ، بحسب دين الإسلام هذا الشخص سيكون مصيره العذاب الأليم في الحياة الأبدية قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧]، ومن لم يتعض بهذه الآية فمهما تمادى في جرائمه وظلمه، وتفنن بإخفاء قبحه عن البشر في الحياة الدنيا يظل خالقه مطلع على كل أعماله،

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ج ٣ ص ٢٠٦).

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾

[إبراهيم:٤٢-٤٤].

برحيل الظلمة من الحياة الفانية، ودخولهم الحياة الأبدية، من الحساب الموعودين به ما بينه رسول رب العالمين عبر عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلا، بهما، قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة، قال قلنا كيف وأنا إنما نأتي الله عز و جل عراة غرلا بهما، قال بالحسنات والسيئات**»(١).

وكل من سولت له نفسه بظلم الناس، يحذره رسول الله ﷺ من مغبة التمادي بظلمه بقوله ﷺ وهو يخاطب رجالًا من معتنقي الإسلام: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعٌ، قَالَ: ﷺ «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاةٍ وَصَدَقَةٍ، وَيَأْتِي قَدْ ظَلَمَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، وَشَتَمَ هَذَا، فَيَقْعُدُ، فَيُقْتَصُّ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلِهَذَا**

(١) معاني الأخبار للكلابذي (ج ١ ص ١٣٦).

مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ بِهِ فِي النَّارِ»[1] بهذه التوجيهات الربانية، ومثيلاتها الكُثر باطلاع الظلمة عليها في دنياهم قد تجعلهم يندمون على ما اقترفوا من جرائم، في حق أبناء جلدتهم ثم يتوبون، ويعيدون الحقوق إلى أهلها، إن كانت في ذمتهم ما لم تردعهم الروادع، ما زرعوه من مظالم في دنياهم، في آخرتهم سيحصدوه.

قاطع الطريق في ميزان الإسلام:

كل من قام بقطع الطريق وألحق الضرر بالناس سواءً أكان الضرر بإنزال الخوف والرعب في القاطنين بمنازلهم، أو في أماكن أعمالهم، أو في المشاة والمسافرين، أو بالقيام بسرقة ممتلكاتهم، أو قتلهم، وسواءً أكان قاطع الطريق له أهداف شخصية، أو سياسية، أو لأي سبب من الأسباب، بقيامه بقطع الطريق وإنزال الضرر بالناس، هذه الجريمة في ظل الدين الإسلامي يترتب عليها عقوبتان الأولى في الدنيا والثانية في الحياة الأبدية، ما لم يتب ويعيد الحقوق إلى أهلها خلال حياته، وأما العقوبة الأولى فتتجسد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]، فمن قطع الطريق، وأنزل الرعب في الناس، وسرق، وقتل، كانت عقوبته القتل والصلب، ومن

(١) مسند أحمد ابن حنبل (ج ٣ ص ٤٩٥).

سفك الدماء ولم يسرق، بقتله للأبرياء يُقتل، ومن سرق الأموال ولم يقتل تقطع يده، ومن أخاف السبيل بإنزاله الرعب على المسافرين، ولم يسفك الدماء ينفى من الأرض(١).

هذا في الدنيا ما لم يتب في حياته ويعيد الحقوق إلى أهلها إن مات على ذلك فجزاءه نار جهنم في الحياة الأبدية، وهذه العقوبة الثانية.

شهادة الزور في ميزان الإسلام:

قال القرطبي في تعريف شهادة الزور: «**هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال فلا شيء من الكبائر أعظم ضررا منها ولا أكثر فسادا بعد الشرك بالله**»(٢)وحتى يتضح ما نرمي إليه شخصان أو أكثر أو أقل لديهم موقف، أو مشكلة من المشاكل، ولضرورة اظهار الحق لصالحهم أمام أي جهة مختصة، أو غير ذلك، من أجل حل المشكلة يلزم المدعي إحضار الشهود، وبحالة إقدام الشاهد أو الشهود ولأي سبب بقلب الحقيقة، وإثبات الحق لغير صاحبه، ومن ثم يصبح صاحب الحق هو الظالم المعتدي، والظالم المعتدي يصبح صاحب حق من هذا الحال خاطب رب العالمين عباده بقوله:﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان:٧٢].

ولخطورة من لم يستجب لتوجيهات خالقه، وبحيث يظل قائمًا بشهادة الزور،

---

(١) الأم للشافعي (ج ٦ ص ١٤٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (ج ١٠ ص ٤١٢).

من هنا كان للإسلام أن شدد العقوبة على شاهد الزور فبينما كان رسول الله بين أصحابه خاطبهم بقوله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ - راوي الحديث - فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ**»(١).

مظاليم السجون في ميزان الإسلام:

يكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من دخول أشخاص السجون دون جرم اقترفوه، وقد يكون لزجهم بالسجون ظلما وعدوانًا.

أسبابٌ، منها أسباب سياسية، بذلك كثيرًا من الشخصيات السياسية يتم إدخالهم السجون نتيجة لمواقفهم المعارضة للنظام، أو لرأسه، أو قد يكون إدخالهم من قبل شخصيات قيادية نافذة لا لجرم اقترفوه، إنما للعداء الشخصي، والبعض يتم زجهم بالسجون نتيجةً لوقوعهم في ملابسات قضية من القضيات، وبزجهم بالسجون يكون المجرم الحقيقي خارج السجن، يتمتع بملذات الحياة، هؤلاء المظلومون، وغيرهم في نظر الإسلام اذا كانوا يدينون بالديانة الإسلامية، وإذا كانوا على علم بتعاليم الإسلام، وأوامره، وإرشاداته، خلال مكثهم بالسجون سيدركون أن خالقهم قدر لهم مصيبة السجن، وأنهم إذا لم يتمكنوا من أخذ حقهم ممن ظلمهم في حياتهم، فإن خالقهم لن يضيع معاناتهم، ففي الحياة الأبدية سيثيبهم ويعلي من درجاتهم، هذا من جانب ومن جانب آخر لن ينجوا بظلمهم من عذاب خالقهم، وإن لم يلحقهم بهم الضرر في الحياة الدنيا، ففي

(١) صحيح البخاري الطبعة الهندية (ج ١ ص ١٢٣٣).

الآخرة سيقفون إلى جوار من ظلموهم أمام محكمة رب العالمين، وبمسألتهم عن جرائمهم سينصفُ الله المظلومين من ظاليهم، بهذه العدالة كل متألم مظلوم رازح قضبان السجن حينها بإدراكه لما سبق، بتذكره لما حلّ بنبي الله يوسف عليه السلام من ظلم، ومكثه بالسجن لبضع سنين ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢]، هنا المظلوم عندما يستشعر أن نبي الله يوسف عليه السالم وهو نبي ومقرب لدى خالقه ظُلم، وسُجن فكيف به حينها ستهون عليه مصيبته، وكما أسلفنا بعلمه أن خالقه لن يضيعه، وسيثيبه ويعلي من قدره في الحياة الدائمة، ستخف آلامه، ويرتاح قلبه، وليس ذلك فحسب بل لأنه يدرك أن الحياة الدنيا ما هي إلا دار بلاء، وعمل، وحساب، وما هي إلا سنوات معدودة، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخرى، والتي من خلالاها سيحصل على كل ما كانت نفسه تتمناه، أي في الحياة الدنيا، ولأن الحياة الدنيا هي سجن المؤمن، وجنة الكافر قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١).

مما سبق المظلوم في داخل السجن لن يقضي وقته سدًا، ولن يضيع هدرًا، ففي داخل السجن سيسعى جاهدًا في عبادة خالقه، من صلاة، وتسبيح، واستغفار، وقراءةً للقرآن، وغيرها من العبادات، وإلى جانب ممارسته للعبادة سيسعى في إصلاح نفسيات زملائه، وسيزرع الثقة بأنفسهم بحقيقة أن خالقهم لن يضيع مظلوميتهم، بذلك تهون مصيبتهم، وترتفع معنوياتهم، تلك الممارسات من عبادة

(١) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٧٢).

لخالقهم، وإصلاح لنفسيات المساجين ما هي إلا نتيجة لقدوتهم بنبيهم يوسف عليه السلام والذي فُصل واقعه بآيات القرآن الكريم.

عاقبة الغادرين في ميزان الإسلام:

الإسلام يوجه منتسبيه بأن يكونوا صادقين في أقوالهم، وأفعالهم، مع خالقهم، ومع نبيهم، ومع أنفسهم، ومع أي بشر، وكل من يرتكب جريمة الغدر سواءً في حق منتسبي الإسلام، أو أي بشر، إن لم تطله يد العدالة في الحياة الدنيا، لن ينجي من عقاب خالقه في الحياة الأبدية، ومن كانت فيه خصلة الغدر، يوجهه الإسلام بقول رسوله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»(١).

وليحذر أن تأتي الحياة الأبدية، وهو في إطار الغدارين قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**»(٢) قال رسول الله ﷺ: «**قال تعالى قال: ربكم عز و جل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوف أجره**»(٣).

البغي في ميزان الإسلام:

إذا ما سعى الانسان في الارض بغية إفساد الحرث والنسل، وبالغ في ظلمه،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٢ ص ١٩٢).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (ج ٨ ص ٧٧).

(٣) سنن البيهقي الكبرى (ج ٦ ص ١٤).

وبغيه، وغيه، على أبناء جلدته، فحينها يكون قد فتح باب غضب خالقه عليه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢]، ولخطورة من يصل إلى درجة البغي، بين رب العالمين نتيجة عقوبة بغي قارون ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، هذا الرجل الثري، ببغيه كانت عقوبة خالقه فيه تتمثل بقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١]، هذه العقوبة عجل الله له بها في الدنيا، أما مدى عقوبته في الحياة الأبدية لا يعلمها إلا الله، ولأن سمات المنتمين للدين الإسلامي التواضع، وعدم الظلم، من هنا جاءت التوجيهات الربانية عبر رسول الله بقوله: «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا لا يَفْخَرْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(١) وقوله ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تبارك وتعالى العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»(٢) مما سبق لن ولن ينجي البغاة من عقوبة خالقهم، وكفاهم أن يدركوا قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَّ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**»(٣).

---

(١) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٤٢٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ج ٥ ص ٣٨).

(٣) السنن الكبرى للنسائي (ج ٨ص ٩١).

معيار كسب الحسنات والسيئات مثقال ذرة:

في ظل الدين الإسلامي من يؤمن بخالقه، ويعمل الأعمال الصالحة أثناء حياته، سينال حب خالقه، وثوابه في الحياة الدنيا، وبرحيله منها وانتقاله إلى الحياة الأبدية سيحظى بنعيم خالقه الدائم في جنته، ومن يخالف أوامر خالقه، أي في الحياة الدنيا، ويلحق الضرر بأبناء مجتمعه، سواءً كانوا من المسلمين، أو ممن لا يدينون بالإسلام، سيفضِي به الحال إلى غضب خالقه عليه، ومن ثم بحصر المظالم والجرائم التي ألحقها بالناس في سجل أعماله برحيله من الدنيا، واستقراره في الحياة الأبدية، سيعذبه خالقه بالنار في جحيمه، وذلك بعد وقوفه للحساب، أمام العدالة المطلقة، عدالة رب العالمين، بمحاسبة البشر على جرائمهم، ومجازاتهم على فضائلهم، حينها أي بعد رحيل كافة البشر من الحياة الدنيا، ووقوفهم أمام خالقهم ستوزن أعمالهم بميزان العدالة المطلقة، وقد يؤثر في رجحان كفة الميزان مثقال ذرة من الأعمال الصالحة، أو مثقال ذرة من الأعمال الفاسدة الظالمة، فمن ثقلت موازينه أي زادت أعماله الصالحة على الأعمال السيئة سيدخل جنة خالقه،

ومن ثقلت أعماله السيئة، ورجحت كفة الميزان بها سينال العذاب الأليم في جحيم خالقه ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة:٦-١١].

ومشكلة تطفيف الميزان حينها أن ترجيح الميزان صوب الأعمال الفاسدة أو الصالحة كما أسلفنا تقدر بقدر مثقال الذرة(١).

ولا يُعلم أن الذرة هي التي تُعرف في فصيل الحشرات، بتلك الحشرة الصغيرة، والتي لا يزيد طولها عن ١سم، أم الذرة التي لا ترى بالعين المجردة، وبكلا الحالتين العمل الذي يعادل مثقال الذرة أثناء وزن أعمال البشر إما أن يؤدي بالإنسان إلى نعيم الله الدائم في الحياة الأبدية، أو إلى العذاب الأليم، وحرصًا من الإسلام على صلاح البشر خلال الحياة الدنيا، كان له عبر منهجه الرباني إحياء ضمائرهم، وذلك بترغيبهم بممارسة الأعمال الصالحة، مقابل الحصول على رضا خالقهم عنهم، ومن ثم دخولهم بكرمه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، ومن لا تؤثر فيه أي خلال الحياة الدنيا وسيلة الترغيب، قد يؤثر فيه وسيلة الترهيب، بمعنى توعد رب العالمين كل من يرتكب الآثام والجرائم في حق أبناء جلدته بالعذاب الأليم، في الحياة الأبدية، وإن كان جرمه يعد مثقال ذرة ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨]، ومما سبق اذا ما كان الشخص المعتنق للإسلام مثلًا تاجرًا، لخوفه من توعد خالقه يخشى أن يروج لسلعته بالكذب، ويتفادى أن يغش الناس ببضاعته، ويظل يراقب الله في كل كلامه، وأعماله، وذلك خوفًا أن يدخل في اطار من يعمل مثقال ذرة شرًا يره، ومن هذا المنطلق كل مسلم وأي كان عمله تظل مثقال الذرة تذكره اما بنعيم خالقه، أو بعذابه الشديد.

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم لمحمد الغزالي (ص ١٢٦).

الوفاء بالعقود في ميزان الإسلام:

إذا اتفق رجلان أو أكثر وسواءً أكانا مسلمين، أو بين مسلم ومن لا يدين بالإسلام على مصلحة معينة، في إطار المباح، وتعاقدا عليها، في ظل الدين الإسلامي أضحى إنفاذها ملزمة، وذلك لقول رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

الجاسوس في ميزان الإسلام:

بغيةً لفتح مكة المكرمة قام رسول الله ﷺ بتجهيزه للقوات الإسلامية، وبانطلاقه بهم خلسة صوب مكة المكرمة لفتحها أقدم حاطب بن أبي بلتعة بإخبار مشركي مكة بشأن قدوم رسول اللهﷺ إليهم، وبجيش الإسلام وبكتابته لهذه الرسالة، وانطلاق حاملتها صوب مكة المكرمة، أخبر رب العالمين رسوله بشأنها، فأمرﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام بأن يدركا المرأة ويأخذا منها الرسالة، وبامتثالهما لأمر رسول الله ﷺ أخذوا الرسالة من المرأة، وباستدعاء رسول الله ﷺ لحاطب، واستجوابه في شأن رسالته، خاطبه حاطب بقوله: «**لَا تَعْجَلْ وَاللهِ مَا كَفَرْتُ، وَلَا ازْدَدْتُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا حُبًّا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا وَلَهُ بِمَكَّةَ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا**»(١) باستماع رسول الله ﷺ لحاطب صدقه، ولم يحاسبه على ذنبه، ومع أن عمل الجاسوس قد يلحق الضرر بالدولة، أو بأناسها، ومن هنا بخطورة إفشاء سر جيش الإسلام من قبل حاطب إلا أن رسول الله ﷺ لم يقم بمعاقبته، وقد

(١) صحيح البخاري الطبعة الهندية (ج ١ ص ١٤٦٤).

يكون ذلك لمصداقية حاطب، لكن الشاهد يظل أن عمل الجاسوسية خطير، وقد يلحق الضرر إما بالدولة، أو بقاطنيها، وبذلك إذا قام أي جاسوس بإفشاء أسرار دولته، بافتضاح أمره حينها إذا لم يترتب من عمله إلحاق الضرر لا بالدولة، أو بأي شخص من قاطنيها، فأسوة برسول الله ﷺ يُعفى عن المذنب، وذلك بعد إحياء ضميره، وأما إذا ترتب على عمله إلحاق الضرر بدولته أو بأي فرد فيحال الجاسوس إلى المحكمة، وللقاضي أن يقدر مدى جرمه، ثم يتم معاقبته.

النمام في ميزان الإسلام:

كل من ينقل الكلام، أو الحديث، بين الناس بغية إيغار الصدور، وإفساد القلوب، وإدخال العداء بينهم، يسمى نمام، النمام جرمه كبير، ولخطورته في إفساد المجتمع المسلم، بين الدين الإسلامي مدى خطورته، والعقوبة التي يستحقها قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١١].

وفي النمام أخبر عنه رسول الله بقوله ﷺ: «**إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»(١) والنمام إذا ما أتته الوفاة ولم يتب من جرمه، كان مصيره في الحياة الأبدية ما بينه رسول الله ﷺ في قوله :«**لا يدخل الجنة قتات**»(٢).

اجتناب الظن في ظل الإسلام:

نتيجة لظروف الحياة المعقدة، وتشابك مصالح الناس، كثيرًا ما يتولد الخلاف

(١) سنن البيهقي الكبرى (ج ٨ ص ١٦٤).

(٢) المصدر السابق (ج ٨ ص ١٦٦).

بين الناس، واذا ما حلّ بشخص مصيبة، أو جريمة، ولم يُعلم مرتكبيها، تتشعب بالشخص المظلوم الظنون، وقد يبني تصوره على شخص، ويلحق به الضرر، وهو بريء لا ذنب له، ولأن الإنسان لا يعلم الغيب، كان للدين الإسلامي في هذا الموضوع تنبيهه وإرشاده لأصحاب الظنون، بأن لا يطلقوا لأذهانهم العنان في الظن السيئ بكل من يختلف معهم، أو من يناصبوهم العداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

كما نبههم رسول الله ﷺ بقوله: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١) وإذا رسي ظنك على شخص معين، لا يدعيك ظنك على أن تتجسس عليه، امتثالًا لقول خالقك (ولا تجسسوا) وليكن دومًا وأبدًا نهجك قول خالقك: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

المنان في ميزان الإسلام:

الشخص الذي يعطي أمواله للفقراء، والمساكين، والأيتام، بتصدقه عليهم لا ينبغي له أن ينتظر منهم رد الجميل، ولا يقصد بتصدقه لفت الأنظار إليه، إنما يقصد بعمله الحصول على مرضات خالقه في الدنيا، وفي الآخرة الحصول على

(١) صحيح البخاري الطبعة الهندية (ج ١ ص ٢٠٥٩).

المرتبة العلية بالجنة، وعلى نفس المسار على ضوء منهج الإسلام كل من يقدم الدعم والعون لأي شخص ومهما كان حاله لا يبغي به إلا مرضات رب العالمين، وفي حال أمثال هؤلاء قال عنهم رب السموات والأرض ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الانسان:٨-١٢].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، تلك المرتبة العلية، سينالها أولئك عندما يخلصون أعمالهم لله، لكن من لم يخلص عمله لله، وابتغى بتلك الأعمال الحصول على مصالحه بالدنيا، واتبع صدقاته أو أعماله بالمن والأذى، تلك الأعمال ستذهب هباءً منثورًا، بل كل من نهج هذا النهج، سيصيبهم غضب من خالقهم، وذلك لمخالفة أمره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤]، بتلك الأعمال الفاسدة إذا ما ماتوا وهم على حالهم، يتحدد مصيرهم في الحياة الأبدية في إطار قول رسولهم

ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان»(١).

الخيانة في ميزان الإسلام:

الخيانة في نظر الإسلام إما أن تكون موجهة صوب رب العالمين، أو صوب رسوله، أو صوب الناس قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧]، وخيانة رب العالمين تتمثل بمخالفة أوامره، وذلك بما فرضه على عباده، من فرائض وغيرها، بمخالفة أوامر الله ونواهيه، واتباع هوى أنفسهم، وشياطين الجن والإنس، يكونوا قد خانوا خالقهم ورسوله، وأما خيانة الناس سواءً في أماناتهم، أو عهودهم، أو في أعراضهم، فإن عاقبة الخائنين، وخيمة فبخيانتهم يعرضون أنفسهم لمقت خالقهم

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]، وكل من اتسم بالخيانة أضحى في إطار المنافقين، وهؤلاء مما قال فيهم رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢) وبرحمةٍ من رب العالمين لعباده، طالب الإسلام منتسبيه بأن يقابلوا تصرفات الخونة بقول رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٣).

الكبر في ميزان الإسلام:

الكبر هو: بطر الحق، وغمط الناس، شخص منحه خالقه قوةً في بدنه، أو وهبه

---

(١) مسند البزار ج ١١ ص ١٨٨).

(٢) شرح السنة للبغوي (ج ١ ص ٧٢).

(٣) مسند الشاميين للطبراني (ج ٢ ص ٢٥١).

الملك، أو المال، وحتى لا يزهو بنفسه، ويتعالى على أبناء جلدته، يطالبه الإسلام بأن ينظر إلى نفسه وحاله مما خلق، وما نهايته ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢١]، والدين الإسلامي يطالب منتسبيه مهما كان مستواهم الاقتصادي، أو السياسي، أو الاجتماعي، بأن لا يتعالوا على الضعفاء والمساكين، وأن يتواضعوا لهم، ولغيرهم، ما لم فإن غطرستهم، وتعاظم تكبرهم، سيوردهم في الحياة الأبدية مورد المهالك قال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

وكفى الإنسان المتكبر أن يكون قدوته في التكبر ابليس، وكل متكبر إذا لم يتدارك نفسه في الحياة الدنيا، ويتوب إلى خالقه، ويكفر عن ذنوبه فإن مصيره يتحدد في قول خالقه: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر:٧٦]، وفي هذا الصدد من أقوال رسول الله ﷺ «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١) وما هذه التوجيهات الربانية إلا أداة، ورسائل إلى المتكبرين، عساهم أن يرتدعوا، وينزجروا، ثم تكن هدايتهم، وذلك بتوبتهم في حياتهم، ما لم فمصيرهم ما بينته الآيات القرآنية الآنفة الذكر.

(١) مسند أبي عوانة (ج ١ ص ٣٩).

التنابز بالألقاب في ميزان الإسلام:

كل إنسان لديه اسم، وفئات من الناس لديهم ألقاب، إضافة لأسمائهم، وهي محببة لديهم، هذه الألقاب من الناس من ينادوهم بها، وهنا لا إثم في ذلك، لكن فئات من الناس تُوجه لهم ألقاب معيبة، وبمناداتهم بها يشعرون بالألم، والغبن، كونها تقلل من قدرهم، في نظر أبناء جلدتهم، وسواءً عبر مناداتهم بالألقاب السيئة، أو وصمهم بالكفر، أو الفسوق، أو الزنى، أو أي كلمة تنطوي على امتهان كرامة الانسان، فمن هنا حرص الدين الإسلامي على سلامة الصدور من الضغائن والأحقاد المفضية لدى البعض إلى المواجهات، والاقتتال، وذلك عبر توجيه المنتمين للإسلام بقول خالقهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

الوفاء بالعهد في ظل الإسلام:

الوفاء بالعهد إما تجاه الخالق، أو تجاه الناس، له أهميته في نظر الدين الإسلامي، فمثلًا لأي سبب من الأسباب إذا أقدم أي إنسان بمعاهدة خالقه أصبح ملزمًا بإيفاء ما تعهد به، والدين الإسلامي يطالبه بالوفاء بالعهد قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤].

والوفاء بالعهد تجاه رب العالمين يشمل البشر كافة وعلى رأسهم المنتمين للإسلام، وجميعهم ملزمون بإنفاذه، ويتمثل العهد الذي أخذه رب العالمين من

كافة البشر في استحقاقه للربوبية، ومن ثم ما يصلح حالهم في الحياة الدنيا، وذلك من إتيان الأعمال الصالحة والابتعاد عن الأعمال السيئة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

وفي ظل تعاليم الدين الإسلامي كل من عاهد شخصًا، أو جماعةً، سواءً أكانوا من معتنقي الدين الإسلامي، أو من منتمي الأديان الأخرى، أو حتى لا دينيين أصبح المعاهد المسلم ملزمًا أمام خالقه، بتنفيذ العهد، ما لم سيلقَ عقابه في الحياة الأبدية، إن لم يتب، ويعيد الحقوق إلى أهلها، إن كان في ذمته حقوق قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ الأَرْبَعِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(١) والمنافقون كما هو معلوم في الدرك الأسفل من النار، فمن يحب لنفسه هذا المصير.

التجسس على الناس في ميزان الإسلام:

التجسس: بمعنى التنصت على إخبار الناس، بغية البحث عن مساوئهم، أو بغية إلحاق الضرر بهم، هذا العمل القبيح يأنف عنه إصحاب المكارم، وهو حرام، والمتجسس إن استطاع في الحياة الدنيا أن يلحق الضرر بالناس، ولم تطله يد العدالة، ففي الحياة الأبدية إن مات دون توبة لن يفلت من عقاب خالقه، ولأن الإنسان بشر يُخطئ ويصيب كان لخالقه أن وجه المتجسس بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) السنن الكبرى (ج ٨ ص ٧٦).

ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١٢]، وكل من لا تردعه هذه الآية عن التجسس سيلقى في الحياة الأبدية من العذاب ما ذكره رسول الله ﷺ بقوله: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، والآنك الرصاص المذاب.

الكذب في ميزان الإسلام:

المسلم معني بأن يتحرى الصدق بأقواله وأفعاله، ومن ثم اذا نطقت لسانه لا تتحدث إلا بصدق، وعلى وجه العموم إذا قيل له أي حديث عليه أن يصدق، هذا ما يريده رب العالمين لعباده، مخالفة ذلك هو من عمل الشيطان وإغوائه، ولأن أضرار الكذب وخيمة، وتلحق الضرر بالمجتمع فردًا وجماعةً، فالشخص الكاذب هو نفسه أول من يتضرر بكذبه، فمع تعود الناس لاستماع كلماته الكاذبة تُفقد مصداقيته، ومن ثم إذا تحدث بكلمات صادقة تصبح كلماته في محل الشك عند مستمعيه، هذا الضرر اللاحق به من قبل أبناء مجتمعه، أما الضرر الجسيم الذي سيصيبه سيكون من قبل خالقه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر:٢٨]، ولأن ضرر الكاذب يتعدى نفسه كما أسلفنا ويلحق الضرر بأبناء مجتمعه من المسلمين، أو أبناء جلدته ممن لا يدينون بالإسلام، وحرصًا من الإسلام في معالجة الشخص الكاذب بين رب العالمين مكانة الشخص الكاذب لديه، وباطلاع الكاذب على الآية السابقة وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾

(١) الأدب المفرد للبخاري (ج ١ ص ٣٩٩).

[الذاريات:١٠]، باستشعاره لإرشادات خالقه وتوعده تجاه من يتخذ الكذب منهجًا لقضاء حوائجه عساه يقلع عن الكذب، ويتوب إلى خالقه، أما ديمومة تماديه بالكذب سينزل نفسه في إطار الآية السابقة، فقتل الخراصون بمعنى لُعن الكذابون، واللعن هو طرد الكاذب من رحمة الله، وإذا طرد الشخص الكاذب من رحمة الله فلا نجاة له، وإن كان محسوبًا من المنتمين للإسلام، وإن كان محافظًا على الصلاة والصوم فلا نجاة له، إلا بالتوبة الصادقة، وإعادة الحقوق إلا أهلها، إن كان قد ألحق الضرر بغيره، قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلَ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ ابْنَ السَّبِيلِ مِنْهُ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لِلدُّنْيَا إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ، وَفَّى لَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا عَلَى سِلْعَتِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ الآخَرُ**»(١).

السخرية والاستهزاء بالناس في ميزان الإسلام:

رب العالمين وبحسب دستور المسلمين (القرآن الكريم والسنة النبوية) بين لعباده أنه رفع من قيمة البشر، وفضلهم على كثير من خلقه، واراد لهم العزة والريادة في الأرض، وحذر عباده من مغبة التعالي، والتكبر، والسخرية من خلقه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (ج ٥ ص ٤٣٨).

وفي مغبة من يسلك ذاك الطريق، أي الاستهزاء بالناس، أو بأعراضهم وضح رسول الله ﷺ مكانته في قوله: «**لاَ حَرَجَ لاَ حَرَجَ، إِلاَّ عَلَى رَجُلٍ اقْتَرَضَ عِرْضَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ ظَالِمٌ، فَذَلِكَ الَّذِي حَرِجَ وَهَلَكَ**»(١).

وقوله ﷺ: «**شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس، أو تركه الناس اتقاء فحشه**»(٢).

وخاطب رسول الله ﷺ رَجُلٌ بقوله: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»(٣).

(١) سنن أبي داود (ج٢ ص ٢١١).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ج ٦ ص ٣٨).

(٣) المصدر السابق (ج ٢ ص ٤٤٠).

الفصل الثاني
المسوغات الأسرية

حق الوالدين في ظل الإسلام:

حب الوالدين لأولادهم، وعطفهما عليهم، ورعايتهم، غريزة طبيعية، يتساوى فيها كل البشر، وأي كان دينه، ولأن الوالدين قاما بتربية أولادهم، وبذلا الغالي والنفيس في سبيل نموهم واسعادهم، وإذا ما كبروا ولم يرجعوا الجميل لآبائهم وأمهاتهم، بالاهتمام بهم، في وقت شيخوختهم وضعفهم و لمعالجة هذه المشكلة في ظل دستور رب العالمين لم يترك عناء الوالدين يذهب هدرًا، فقد وصى الأبناء بالاهتمام بآبائهم وأمهاتهم، وليس ذلك فحسب فمع شكر الإنسان خالقه، حثه ربه بأن يقوم بشكر والديه ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤].

ثم بوصول الأب والأم لمرحلة متقدمة بالسن وحاجتهما الماسة لمن يرعاهما، جاءت التعاليم الربانية للأبناء، بأن يتفانوا بخدمة أبائهم وأمهاتهم، ولا تقتصر الرعاية على الجوانب المادية، فحسب بل شملت حتى الرعاية النفسية، وذلك بإشعارهما بأنهما ما زالا قويين، وأن القول قولهما، والرأي رأيهما، وإذا ما أخطأ الوالدان في حق أبنائهما ما على الأولاد إلا الصبر، وأن لا ينهرهما، ولا يقولان لهما حتى كلمة أف ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ

ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الاسراء:٢٣].

وفي حالة تمادي الآباء بأخطائهما تجاه أولادهم، خاصة أثناء شيخوختهما، وجه رب العالمين الأبناء بقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الاسراء:٢٤].

ومن صور أهمية اهتمام الإسلام بالوالدين أنه قدم الاهتمام بالوالدين والقعود معهما بغية رعايتهما على الذهاب للجهاد في سبيل الله، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِي ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»(١) وإذا كان الأبوان لا يدينان بالإسلام، وولدهم اعتنق الإسلام، عند إقدام أبويه بالتضييق عليه، بغية أن يخرج من الدين الإسلامي، ففي هذه الحالة وجه رب العالمين معتنقي الإسلام كافة بأن لا يستجيبوا لطلب أبائهم، أو أمهاتهم، ومهما بلغت ضغوطاتهم لا يستجيبوا لهم بالخروج من الدين الإسلامي، ومع ذلك وبذاك الظرف العصيب يظلوا مهتمين بهما ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥]، وإذا غض الأولاد آذانهم عن هذه التوجيهات الربانية، وأقدموا على عصيان أبائهم وأمهاتهم؛ لأن الحياة الأبدية هي الحياة الأخرى، جعل الله مصيرهم في الآخرة بأن حرمهم من دخول

(١) السنن الكبرى للنسائي (ج ٤ ص ٢٧٢).

الجنة قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة عاق**»(١) وجعل عقوبة العاق بعد عقوبة المشركين بالله قال رسول الله ﷺ: «**ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»(٢)، وجعل جزاء كل عاق لوالديه في الدنيا بأن يعقه أبناؤه، فمما ورد في الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبنائكم**»(٣).

تميز الآباء لبعض أبناءهم في ظل الإسلام:

حب الوالدين لأبنائهم فطري، لا دخل للإنسان فيه، لكن هناك أسباب لاجتياح قلوب الأباء أو الأمهات، من قبل بعض أبنائهم، فالأولاد البارون بآبائهم وأمهاتهم، الساعون دومًا إلى إسعادهم، سواءً بالخضوع والاستذلال بين أيديهم وأقدامهم، أو بتوفير إحتياجاتهم إذا ما كبرا وأسنا، هؤلاء بطاعتهم وتفانيهم في إسعاد ابائهم وأمهاتهم يتميزون دون إخوانهم، وبتميزهم سيكون لهم مرتبة عالية لدى قلوب الأباء والأمهات، وحتى لا تشوب بين الإخوان شائبة، ولا ينزغ ابليس بين قلوب الإخوة، وبحيث يتحولون من إخوان صالحين إلى أعداء ضالين، كان للدين الإسلامي توجيه الإباء والأمهات بمراعات جميع أبنائهم، وأن لا يظهروا الحب لأحد دون اخوانهم، وألاّ يعدلوا بينهم، ما لم سيكون الحال بينهم حال نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته، فإخوة يوسف

(١) مسند احمد بن حنبل (ج٢ ص ٢٠٣).

(٢) صحيح البخاري (ج ٣ ص ٢٢٤).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج ٤ ص ١٧١).

عند ملاحظتهم لاجتياح حب يوسف وأخيه قلب أبيهم، نزغ إبليس بينهم ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف:٨]، ومما سبق شرعوا في التخلص من أخيهم يوسف، بغية أن يخلي لهم قلب أبيهم قال تعالى مخبرًا عن تآمرهم على أخيهم ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:٩](١)، ثم كان لهم وضع أخيهم في غيابة الجب، وبقدوم أناس واستخراجه من قعر البئر تخلصوا من أخيهم ببيعه للسيارة بثمن بخس، وليعيش عبدًا لدى سيده ما تضمنته سورة يوسف(٢) من سرد الأحداث المتعلقة بين الأخوة، ما هي إلا درسٌ للآباء والأمهات، وذلك بأن يعدلوا بين أولادهم، وهي أيضًا درسٌ لكل من ظُلم من قبل أخيه أو أخوته، ومع ذلك الظلم يلتزم بتوجيه خالقه بأن يقابل الظلم والعدوان بالعفو، ثم الإحسان، وما ذلك إلا مقابل إن يعلي الله من قدره في الحياة الأبدية.

حق المرأة في ميزان الإسلام:

المرأة ابتداءً من أيامها الأولى أي ولادتها من بطن أمها، بخروجها للحياة، كفل الإسلام حقها في رعايتها، وتربيتها، ابتداءً من الرضاعة، ثم توفير مأكلها، وملبسها، ورعايتها قال تعالى:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

---

(١) انظر سورة يوسف لتطلع على كافة تفاصيل أحداث قصة يوسف عليه السلام.

(٢) ارجع إلى سورة يوسف حتى تعرف كامل الأحداث بين يوسف وإخوته.

وبوصولها سن التعلم ساوى الإسلام بينها وبين أشقائها من الذكور، وذلك في تعلم العلم قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» ثم إن الإسلام أعطى للمرأة حق ممارسة العمل، والتعامل مع الأجانب، إن لزم الأمر فمع وصول نبي الله موسى عليه السلام إلى مدين، وجد ابنتي نبي الله شعيب عليه السلام تقومان برعي الأغنام، ومع أنهما لا يعرفان نبي الله موسى عليه السلام فبقوله لهما: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص:٢٣]، فردتا عليه بقولهما: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

وأما نسوة نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ فقد كنا يناقشنا من يأتيهن من معتنقي الإسلام وهنا كان للإسلام توجيههن بقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

كما أعطى الإسلام الحق للنساء بإبداء أراءهن في الأجانب لأقاربهن، مما ورد في دستور معتنقي الإسلام القرآن الكريم أن بنت نبي الله شعيب خاطبت أباها بقولها: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، أي وصفت نبي الله موسى عليه السلام وهي حينها لا تعرفه بأنه القوي الأمين، وما ذلك إلا لحسن تعامله معهما، وبوصول المرأة سن الزواج أعطاها الإسلام الحق في اختيار شريك حياتها، أي الزوج قال رسول الله ﷺ:

«الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها»(١).

وبعد زواجها فرض لها حقوق على زوجها، وساوى بينها وبين زوجها في الكثير من الحقوق والواجبات، ولم يجعل الرجل متفوقًا عليها بدرجة إلا لكونه مطالب بالنفقة عليها ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨]، وبما فضل الله بعضهم على بعض، وفرض الإسلام على الزوج توفير مستلزماتها كافة، إن كان من الميسورين، وليس ذلك فحسب بل فرض على الزوج أن يسعى جاهدًا في توفير الكماليات لزوجته، وبحيث تستمتع المرأة بملذات الحياة المشروعة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:٢٣٦]، وبحالة تغلغل الكره في قلب الزوج تجاه زوجته، وجهه خالقه بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

وإن تمادى الزوج في ظلم زوجته، ونشز عنها، حث الإسلام أصحاب الخير أن يسعوا في إصلاح شأنهما ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨].

وفي حالة دخول الخلاف بينها وبين زوجها، ووصوله الذروة، وضع الإسلام لها الحل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥].

---

(١) سنن الترمذي (ج ٣ ص ٤١٦).

وإن رأت المرأة أن لا قدرة لها في البقاء بعصمة زوجها، وخوفها من الوقوع في الفتنة، ففي إطار شريعة رب العالمين أعطاها الحق في خلع زوجها، وفي خصوص المواريث، أعطى الإسلام الحق في أن ترث المرأة من أقاربها مثلها مثل إرث الرجال﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء:١١]، ولم يجعل الإسلام نصيبها نصف نصيب الرجل بغية أنها أقل قدرًا منه، بل لأنها ابتداءً من طفولتها ومرورًا بزواجها كلف الإسلام بتوفير نفقتها الأب، وبوفاته أو عجزه عن النفقة يقوم بها الأخ، ثم الزوج بزواجها، ومن هنا يفهم مغزى نقص ميراثها(١).

وفي سبيل سعي المرأة في كسب مرضات خالقها، من خلال اجتهادها بالعبادات، والأعمال الصالحة، ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في درجة الحصول على ثواب الأعمال الصالحة ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٣٥]، هذه الأسطر التي تبين حق المرأة في ظل الإسلام لم تشمل كافة الحقوق، والامتيازات التي منحها الإسلام للمرأة،

(١) ونقص المرأة في ميراثها ليس دائمًا، ففي بعض الحالات يصل نصيبها في الميراث أكثر من نصيب الرجل، راجع آيات المواريث في القرآن الكريم.

فدستور الأمة الإسلامية كتاب رب العالمين، وسنة رسوله، يزخران بكافة حقوق المرأة.

الحل تجاه المرأة الناشزة على زوجها:

اذا كان الزوج من المنصفين لزوجته، بمعنى أنه منحها كامل حقوقها، ورغم إحسانه، وتفضله عليها، إذا قابلته بسوء المعاملة، سواءً بالتعالي والترفع عليه، أو بتقليلها من كرامته، وبأي وسيلة من الوسائل، أو بمنعه من الوصال، لا لسبب، وإنما تذمرٌ منه، وتأففٌ من معايشته، وإذا بلغ بها الحد لدرجة النشوز، بوصولها لهذه الحالة، بين الإسلام للرجل ما ينبغي أن يقوم به تجاه زوجته، وذلك في قول رب العالمين: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٤]، وبهذا التوجيه ما على الزوج إلا أن يجتهد في كسب ود زوجته، وذلك عبر استخدامه للكلمات الطيبة، والتي من شأنها أن تجعل الزوجة متراجعة عن غيها، كما عليه أن يذكرها بتوجيهات خالقها، المنزلة على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ ومنها قوله: «**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا يصعد لهم حسنة، العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو**»(١).

(١) صحيح ابن خزيمة (ج ٢ ص ٦٩).

وقوله ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**»[1] وإذا لم تستجب الزوجة، وظلت ناشزة، فعلى الزوج أن ينتقل للخطوة الثانية، وذلك بهجرها في المضاجع، أي بعدم معاشرتها، وخلال هذه الفترة ينبغي عليه أن يصبر عليها، وذلك بأن يتحكم بتضجره، أو بغضبه من سلوكها الخاطئ، وأن لا يقول لها إلا خيرًا، فإذا صلح حالها، وتراجعت عن بغيها، على الزوج أن يغفر كل ما بدر منها، وأما إذا قادته نفسه إلى معاقبة زوجته، إثر صلاح شأنها، فإن الزوج سيعرض نفسه إلى عصيان خالقه، ومن ثم غضبه عليه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]، وأما بعد هجرها في المضاجع إذا ظلت الزوجة ظالمة له، باغية عليه، عليه أن ينتقل إلى الخطوة الثالثة، وذلك بأن يقوم بمعاقبتها بالضرب، ولكن شرط أن يكون ضربًا غير مبرح، أي ضربًا خفيفًا، وأن لا يكون في الوجه، فإن تراجعت الزوجة عن بغيها، ما على الزوج إلا أن يغفر لزوجته زلاتها، وأن يحسن إليها، وإن ظلت معاندة، مكابرة ناشزة، وتولد الخوف أن تتسع دائر الخلاف بينهما إلى الانفصال، وكانت حينها الزوجة خارج بيت زوجها، فالحل يتمثل بتعيين حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥]، وهنا ان أراد الزوج والزوجة التوافق على حل الخلاف بينهما، فخالقهما سيوفق بينهما، وذلك بصلاح الحال، ما لم إذا ظلت الزوجة معاندة مكابرة، أو لا قدرة لها

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٢ ص ٢٥٥).

بالاستمرار في الحياة الزوجية فالحل يتمثل بقول رب العالمين: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، أي عبر طلاق الزوج لزوجته، أو الخلع.

سبب عدم انجاب بعض الناس والنساء للأطفال:

لمَ أنا عقيم؟

لمَ أنا عقيمة؟

عقم الرجل أو المرأة هو ناشئ عن إرادة رب العالمين، فهو من قدر للرجل أو المرأة بأن يصبحا عقيمين، وإذا ما أبتلى رب العالمين رجلًا أو امرأةً بالعقم وسادا الحزن قلبيهما، لعدم تمكنهما من الإنجاب، ففي القرآن الكريم وسنة رسول الله محمدًا بن عبد الله ﷺ سيجدان الإجابة لأسئلتهما، وسيطمئن قلبيهما، فمن خلال المنهج الرباني سيعلمان أن كل مسلم لا بد له أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأنهما ليسا الوحيدان بإصابة بالعقم، حيث هناك من كان أعلى منهما مرتبة قُدر لهم العقم، فصبروا واحتسبوا حالهم عند خالقهم، ومن أولئك من تقدم بهما العمر أي بالزوج والزوجة ووصل بهما الحال إلى اليأس من الإنجاب، وبالرغم من ذلك تفضل رب العالمين عليهما، بأن رزقهما بالأولاد، ومن هؤلاء نبي الله زكريا عليه السلام وزوجته، فبالرغم من عقم زوجة نبي الله زكريا عليه السلام، وتقدم نبي الله زكريا بالعمر، وديمومة رغبتهما بالإنجاب، ظل نبي الله زكريا عليه السلام

يلح على خالقه بالدعاء، وذلك بأن يتفضل عليه بأن يرزقه بولد، فكان له ما أراد(١).

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريم:١-٧]، بتحقق رغبة نبي الله زكريا، وعدم تحققها في كثير من البشر، يظل الألم حيًا في قلوب بعض الرجال والنساء وذلك لعدم تمكنهم من الانجاب، ومن علاج ذاك الألم أو ما يخفف من حدته، أن يستشعر بأن كل من أصيب بالعقم، قد يعلل في سببين إما لمشيئة خالقها﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى:٥٠]، وما ذلك إلا لحكمة يعلمها رب العالمين، ويجهلها العقيمون، ومع ذلك بصبر العقيم خلال حياته، واحتساب آلامه لدى خالقه سيعطيه خالقه في الحياة الأبدية حتى يرضى، وأما السبب الثاني من العقم قد يكون العقم ناتج عن معاصي، وهنا باستغفار المذنبين، وإقلاعهم عن الذنوب، وإعادة الحقوق لأهلها، سيستجيب خالقهم لرغبتهم، ويرزقهم بالبنين ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح:١٠-١٢].

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (ج ٢ ص ٨٦٦).

النساء اللاتي يُحرم الزواج بهن:

النساء اللاتي يحرم الزواج بهن بحسب تعاليم رب العالمين.

أمهاتكم اللاتي ولدنكم.

بناتكم من أصلابكم.

خواتكم وسواءً أكن خوات من الأب والأم أو من أحدهما.

عماتكم أي خوات أبائكم.

خالاتكم أي خوات أمهاتكم.

بنات إخوانكم.

بنات خواتكم.

أمهاتكم من الرضاعة.

أخواتكم من الرضاعة(١).

أمهات نسائكم.

بنات نسائكم اللاتي تربين في أحضانكم.

زوجات أبنائكم والذين من أصلابكم.

الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف، أي إذا تزوجتم بأختين، قبل دخولكم في

(١) المحرمات من الرضاعة نفس المحرمات من النسب، بمعنى: لا يقتصر التحريم على الأخوات من الرضاعة فحسب، بل يتعداهن –فمثلًا– يحرم الزواج ببنات الأخ من الرضاعة، وببنات الأخت..إلخ.

الدين الإسلامي فيستمر الحال بعد الدخول في الإسلام، وباعتناق الدين الإسلامي يحرم الجمع ببين الأختين.

زوجة الأب ويشدد رب العالمين بحرمة التزوج بزوجة الأب إلا ما قد سلف

بمعنى إذا اعتنق أحد الرجال الدين الإسلامي، وكان حسب دينه السابق متزوج بزوجة الأب، فما سبق الإسلام سبق، وابتداءً من اعتناقه للدين الإسلامي يصبح التزوج بزوجة الأب محرمًا، وفي هذا الصدد يقول رب العالمين: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢]، وأما ما يخص التحريم بما اسلفنا، خاطب رب العالمين عباده بقوله:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٢٣].

البيوت التي يباح فيها تناول الطعام:

في ظل المجتمع الإسلامي البيوت التي يباح فيها تناول الطعام، وعلى الأخص إطعام المساكين، من المصابين بعاهات دائمة كالأمراض المستعصية، والعميان، أو الفاقدين لأيديهم، أو أقدامهم، هؤلاء ومن ماثلهم من الفقراء، والمساكين والذين

لا جهد لهم ولا قوة في توفير مأكلهم، أباح لهم الإسلام تناول الطعام وذلك في بيوت أقاربهم، والتي حددها رب العالمين في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور:٦١].

في ظل الإسلام لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه:

في ظل دين رب العالمين الدين الإسلامي الخطبة أي خطبة المرأة تعد مقدمةً للزواج، وإذا قام إنسان بخطبة فتاة أو امرأة، وجب على كل من ينتمي للدين الإسلامي أن لا يقوم باتخاذ أي اجراء يهدف إلى افساد خطوبة الخاطب، أو القيام بخطبة المخطوبة، وذلك لتنفيذ هدفه إما نكاية بالفتاة المخطوبة، أو بالخاطب، أو لأي سبب، ومن هنا كان للإسلام العمل على معالجة هذه المشكلة مراعات منه لنفسية الخاطب الأول، أو لكل متضرر من إفساد الخطوبة، فالإسلام يوجه منتسبيه صوب صفاء نفوسهم من الضغائن والأحقاد، وبحيث يصبح المجتمع المسلم مؤتلفي القلوب، متحدي الصفوف، ما لم يلتزم المسلم بتوجيهات خالقه، وحسب دوافعه قام بإفساد الخطوبة، فإن الضرر الذي سيلحقه بالمستفيدين من الخطوبة لن يتوقف عندهم، فقد يلحقه الضرر، من هنا حرص الإسلام على

سلامة مجتمعه وذلك من خلال توجيهاته وتشريعاته ومنها في هذا الصدد قول رسول الله ﷺ: «لا يَخْطُبُ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»(١).

من أفسد امرأة على زوجها في ميزان الإسلام:

بتحقق الزواج بين الرجل والمرأة، يخلق الله الحب والمودة في قلبيهما، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

وباستقرار الزوجين، وديمومة الود، والحب بينهما إلا أنه نتيجةً لظروف الحياة وتعقيداتها قد تنشأ المنغصات بين كلا الزوجين، وفي سبيل الحفاظ على الأسرة وبغض النظر من صاحب الحق فيهما، الدين الإسلامي يحث منتميه في العمل على إصلاح الشأن بينهما، وبحالة وُجد شخص لديه رغبة بأن يوسع الخلاف بين الزوجين، وسواءً كان الدافع رغبته بالحصول على الزوجة، أي باجتهاده في الوصول بخلاف الزوجين إلى الطلاق، ومن ثم يقوم بالتزوج من المرأة، أو يسعى لانفصال الزوجين بغية الانتقام من الرجل، أو من زوجته، أو يفرق بينهما، لأي سبب كان، من يقوم بهذا العمل البشع في مجتمع الإسلامي يعد مذنبًا، وبمعصيته لخالقه إذا لم يتب من ذنبه، سيظل في إطار ما حدده رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ في قوله: «مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٢).

---

(١) موطأ مالك (ج ٢ ص ٥٢٣).

(٢) السنن الكبرى النسائي (ج ٨ ص ١٨١).

الفصل الثالث
المسوغات الاجتماعية

استعباد العباد في ميزان الإسلام:

إلى تكليف محمدٍ بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام وفي ظل قانون الغاب وقوانين البشر القاصرة اُستحل استعباد البشر، وأصبح شيئا مألوفا لدى أولئك البشر، فلا غرابة أن يكون الرجل أو المرأة سلعةً تباع وتشترى، ويسلب منهما ما منحهما خالقهما من حرية في المعتقدات، والتصرفات، وفي ممارسة حياتهم بحرية وكرامة، وفي ظل تلك القوانين الظالمة، أي قوانين المجتمعات الجاهلية، قوانين الغاب.

أضحى كثيرًا$#$# من البشر عبيدًا لدى أسيادهم، لا حولاَ لهم ولا قوة إلا طاعة أسيادهم، والانصياع لأوامرهم، وببعثة محمدٍ بن عبد الله ﷺ حث خالق البشر: المنتمين للإسلام بأن يشمروا عن سواعدهم، في السير الحثيث صوب تحرير البشر من رق العبودية، معتبرًا الساعي في هذه الطريق بالمقتحم للعقبة(١)، والتي لا يستطيع أن يتجاوزها إلا قلائل من الناس، من ذوي الهمم العالية ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٣]، والمقتحم للعقبة إذا ما رحل من هذه الدنيا سيلقى منزلته العالية في الحياة الأبدية، ولم يقتصر تحفيز

(١) الحاوي الكبير للماوردي (ج ١٠ ص ٣٥٥).

الإسلام لمعتنقيه على هذه الحالة، تحرير العبيد من رق العبودية، أي عبر المقتحم للعقبة بل جاءت التشريعات الربانية لتعالج مشكلة استعباد الناس لإخوانهم من أبناء جلدتهم، ومن التشريعات الإسلامية التي تعني بتحرير العبيد من رق العبودية.

كفارة اليمين قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾ [المائدة:٨٩] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة:٩٢].

كفارة المظاهرين من نسائهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة:٣].

كفارة قاتل النفس بالخطأ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء:٩٢].

كما جعل الإسلام نصيبًا من تصريف الزكاة المفروضة والتي هي أحد اركان الإسلام في تحرير العبيد من رق العبودية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٠].

وشجع الإسلام الراغبين في تحرير أنفسهم من رق العبودية، وذلك بتوجيهه لمالكيهم بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:٣٣]، وليس ذلك فحسب، فقد رغب الإسلام في تحرير الرق وجعل ذلك من صفات المتقين ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧]، ما ورد في هذه الحالة يُعد صورة موجزة من صور اهتمام الإسلام بالجانب الإنساني للبشر.

اليتامى في ظل الإسلام:

من فقد أباه، أو أمه، أو كليهما، وأصبح بحاجة ماسة لمن يربيه أو يرعاه، من هذه الحاجة كان للإسلام الاهتمام بفئات اليتامى، فمع أيام الإسلام الأولى:

وتحفيزًا للناس بتربية اليتامى قال من لا ينطق عن الهوى رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما قليلا**»(١) ومن هنا يُفهم مغزى ترغيب الإسلام لأصحاب الخير في تربية اليتامى و الاهتمام بهم، لأن الكثير من الأيتام بفقدهم لتربية أبائهم، واكتسابهم لبعض السلوكيات والتصرفات الخاطئة، ومما سبق كان للإسلام مراعاتهم في هذا الجانب، فقد أوصى المسلمين بمراعات الأيتام، وتحمل أخطائهم، والعفو عما بدر منهم، فمما ورد في منهج رب العالمين في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:٩]، وليس ذلك فحسب فقد حث الدين الإسلامي كل مسلم ومسلمة بتوجيه اليتيم للسلوك السوي المستقيم، وما هذا التوجيه إلا ليتربى اليتيم على فضائل الأخلاق، وبحيث يكون قلبه نظيفًا خاليًا من الأحقاد والضغائن، وذلك إذا لم تساء معاملته، وإذا ورث اليتيم مالًا بعد أبيه، أو من أحد أقاربه، وكان حينها ما زال في سن الطفولة، أوصى الإسلام بمن سيقوم بتربيته بحفظ ماله، بل شدد العقوبة في آكل مال اليتيم ظلمًا وعدوانًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠].

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٥ ص ٣٣٣).

واذا ما كان المتكفل بتربية اليتيم بحاجة للمال فبمقابل تربيته لليتيم رخص له الإسلام بأن يأكل من مال اليتيم(١)، ولكن بالمعروف ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٦].

وبوصول اليتامى سن التكليف، أمر الإسلام المتكفلين بهم بأن يسلموا لهم أموالهم، ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ﴾ [النساء:٦].

الرحم في ظل الإسلام:

أبرز الأقارب بعد الأم والأب الأخ، والأخوات، والعم، والعمات، والخال، والخالات...

لأن الاسلام دين رحمة، وتعاطف وود، وتكافل اجتماعي، حث على صلة الرحم، وعدم هجرانهم، أو التكبر عليهم، ولأهمية التواصل معهم وجه رب العالمين عباده بقوله:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

ومن هنا من كان له أقارب، إذا غشيتهم غاشية، من نكبات اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية، وإذا ما كانوا بحاجة ماسة للدعم، وجب على من أنعم الله عليهم من فئات الميسورين من أقاربهم بأن يتفقدوهم ويحسنوا إليهم، وليس ذلك فحسب بل ديمومة زيارتهم، وتفقد أحوالهم، وأوضاعهم، ومن تمادى في ظلمه

(١) الأم للشافعي (ج ٧ ص ٨٢).

وهجر رحمه، وإن كان المهجورون على خطأ، يخاطبه رب العالمين بقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، كما يحذر رب العالمين عباده المعتنقين للدين الإسلامي من مغبة من يقطع رحمه بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها، قطعته**»(١).

حق الجار في ميزان الإسلام:

للجار على جاره في ظل الإسلام حقوق، وعليه واجبات، والجيران ثلاثة: -

جار مسلم قريب له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار، وحق الإسلام، والجار الذي لا يدين بالإسلام له حق الجوار، وبالعموم سواءً أكانت المجورة في المنزل، أو في العمل، أو في الحقول الزراعية، أو غير ذلك، حق المجورة ملزمة للطرفين، وتتمثل بأن يسود بينهما الأمان، والاحسان، وحسن الصحبة، والمشورة وغيرها من الحقوق، ولأهمية حق الجار وجه رب العالمين عباده بقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء:٣٦]، وهنا إذا ما انعم الله على أحد الجارين بالمال، أو الحكمة أو بأي نعمة

(١) الدر المنثور للسيوطي (ج ١٣ ص ٤٣٩).

يفتقدها جاره، عليه أن يتفقد جاره، فإذا كان في نقص من الأموال عليه أن يطعمه، ويكسيه، وإذا كان بحاجة للنصيحة عليه أن ينصحه، وبحق، وإذا ما أعتدي عليه وظُلم من حقه على جاره النصرة، وبالحق، وإذا ما كان الجار ظالمًا من حقه على جاره أن يجتهد في نصحه، وإبعاده عن الظلم، سئل رسول الله ﷺ ما حق الجار على الجار؟

قال رسول الله ﷺ: «**إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده**»(١).

ومن حق الجار على جاره ان يحفظ جاره في نفسه، وماله، وعرضه، قال رسول الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْبَوَائِقُ؟ قَالَ: غشْهُ وَظُلْمُهُ**»(٢).

ويشدد الإسلام العقوبة في من يسيئ الأدب بنساء جيرانه، عن عبد الله قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك، أو من طعامك، وأن تزني بحليلة جارك** - **قال وتلا هذه الآية** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ

(١) فتح الباري لابن حجر (ج ١٠ ص ٤٤٦).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ج ١ ص ٣٨٧).

ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]»(١).

وبحالة أن يكون جار المسلم لا يدين بالإسلام، أو جب الإسلام الاهتمام به، وتفقد أحواله والاحسان إليه، والصبر على اخطائه إن كان لا يحسن المجورة، قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»(٢).

البر في ظل الإسلام:

يتحدد البر في ظل الدين الإسلامي في إطار ما ذكره رب العالمين في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

الإسلام يحث على إطعام أشد الناس فقرًا:

الإسلام يحث ويرغب معتنقيه على التفاني بخدمة المجتمع، وعلى الأخص الفئات المتضررة من أخطاء وجرائم بعض المجتمعات البشرية، أي الفئات الأشد فقرًا ومن الفئات المتضررة من أخطاء البشر طبقة العبيد، هؤلاء لضعفهم

(١) سنن الترمذي (ج ٥ ص ١٩٠).

(٢) مسند عمر بن عبد العزيز للباغندي (ج ١ ص ١٨٣).

ومسكنتهم وصف الإسلام من يسعى في تحريريهم من رق العبودية بأنه من فئات مقتحمي العقبة، وهؤلاء هم بالتأكيد أناس مميزون فاقتحام العقبة لا يتجاوزها إلا من سمت نفسه، وعلت مكانته لدى خالقه، ومن فئات مقتحمي العقبة من يطعم اليتامى، والمساكين، وذلك في وقت المجاعة، فعندما يصبح معظم الناس والأثرياء مشغولين بأنفسهم، ففي ذاك الظرف العصيب مقتحم العقبة في سبيل مرضات خالقه يسعى جاهدًا في إطعام أقاربه من اليتامى، والفقراء المعوزين، والذين لا حولَ لهم ولا قوة في إشباع أنفسهم، أو أسرهم، بميزان الإسلام من يقوم بهذه الأعمال المميزة يعد من أصحاب الخير، بمعنى من ذوي الفضائل الذين تمكنوا من اقتحام العقبة، والتي بدورها تجعلهم مميزين لدى خالقهم، وبالتالي ببلوغهم حب خالقهم سيحظون بالمرتبة العالية بعد رحيلهم من هذه الحياة، واستقرارهم في الحياة الأبدية، هؤلاء ممن شملهم قول خالقهم ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١١-١٧].

الفصل الرابع
المسوغات الأخلاقية

التواضع في ميزان الإسلام:

إذا ما وسع الله على رجل في حاله، وأصبح ثريًا، أو عالمًا، أو قوي الجسد هنا الدين الإسلامي يطالبه بأن يشكر خالقه، وأن يتواضع في تعامله مع أبناء جلدته كافة، ويذكره بأن صحته وعلمه هي تفضل من الله عليه، وأن المال هو مال الله، وأن حاله بيد خالقه، فقد تدور عليه الدوائر وسرعان ما يخسر حاله وماله، وحتى نفسه الأمارة بالسوء لا تطغي عليه، وتجعله يتعالى على أبناء جلدته، ويفسد في الأرض، ذكره خالقه بمصير قارون الثري ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا

﴿كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٧٦-٨١].

وبذلك يدعي الإسلام معتنقوه بأن يحذروا من مغبة التكبر والبغي ويلزموا أنفسهم التواضع لأن التواضع يجعل من الشخص المتسم به سواء أكان غنيًا أو فقيرًا، حاكمًا أم محكومًا، محبوبًا لدى خالقه، ولدى أبناء جلدته، ولأهمية من يتحلى به خاطب رسول الله معتنقي الإسلام بقوله ﷺ: «**من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين**»(١).

الرحمة في ظل الإسلام:

الرحمة صفة مشتقة من أسماء رب العالمين، الرحمن، الرحيم، وهو أرحم الراحمين، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهَّ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَأَخَّرَ لِنَفْسِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢) ولأن ارادت الله ابتلاء البشر في الحياة الدنيا، لينظر أيهم احسن عملا، ولأن الانسان ليس ملاكًا، وكونه يخطأ ويصيب ففي ظل الإسلام ولأي سبب إن انعدمت الرحمة منه، يحثه خالقه عبر آيات القرآن الكريم بأن يجتهد بإخراج الضغائن والأحقاد من قلبه، ويملأ قلبه رحمةً، وودًا لكل مسلم، وبما فيهم المسيئين إليه، بذلك كل من اتصف بالرحمة وتغاضى عن أخطاء البشر، كل ما نال رحمة خالقه،

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٧٦).

(٢) مسند أبي يعلي (ج ٦ ص ٣٣).

وسيحصد أعماله في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى خالقه بقلب سليم، أي سليم من الأحقاد، والضغائن، رحيم بكل البشر، وكفى اصحاب القلوب المتحجرة قول رسول الله ﷺ فيهم: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»(١).

في ظل الإسلام وقولوا للناس حسنًا:

إذا دار النقاش بينك وبين أي شخص، وفي أي موضوع من المواضيع إذا ما شعرت أثناء النقاش بأن صاحبك تطاول عليك، وأثيرت حفيظتك، ودفعتك نفسك، أو الشيطان للرد عليه بقبيح العبارات، ما عليك إلا أن تتذكر قول خالقك: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

ومما سبق لأن الدين الإسلامي يعمل على أن يكون المجتمع المسلم كمثل الجسد الواحد، في وحدتهم الروحية، والجسدية، وفي سبيل ذلك وجه الإسلام معتنقيه: بأن يحسنوا من اختيار الكلمات الطيبة في نقاشاتهم، وكما أسلفنا إذا ما حدث عليهم تجاوز أثناء النقاش، وألحق بهم الضرر، عليهم الصبر، والرد بالكلمات الطيبة، والتي من شأنها تداوي القلوب، لا تثير الضغائن، والأحقاد، أو تزرعها قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء:٥٣]، كما أن رب العالمين بين لمعتنقي الإسلام نتائج استخدام الكلمة السيئة، وكذلك استخدام الكلمة الطيبة، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ

(١) الأربعون الصغرى للبيهقي (ج ١ ص ١٤٣).

وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [ابراهيم:٢٤-٢٦].

وبهذا النهج الرباني بتحملك لأخطاء صاحبك، وإشعاره أنه بإمكانك أن تسمعه كلمات سيئة مقابل كلماته، إلا أنك تفضل تحمل أخطائه، ومسامحته، هنا خصمك قد يتأثر ويندم على ما بدر منه، ويطلب منك المسامحة، ولو بعد حين.

سباب المسلم في ميزان الإسلام:

من أهم قيم الدين الإسلامي غرس القيم الفاضلة في منتسبيه، والتي تتمثل بكل كلمة طيبة، وسلوك حسن، وهاتان الخصلتان توفرتا في قدوة المسلمين محمد بن عبد الله ﷺ ففي خصاله الحميدة وصفه خالقه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، وإذا كان رسول الله ﷺ على خلق عظيم، فكل المسلمين ينبغي لهم أن يقتدوا برسولهم، وصاحب الخلق العظيم ما أبعد لسانه عن استخدام الكلمات السيئة، من سب، وشتم، وتقبيح قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلاَ بِلَعَّانٍ، وَلاَ الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ**»(١) وفي سباب المسلم قال ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٢).

وإذا كان الدين الإسلامي يوجه معتنقيه بالامتناع عن الخوض في الرذائل، كالسب، والشتم، وبهذا الصدد وجههم بأن لا يسبوا من يخالفهم في الدين، قال

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ١ ص ٤٠٥).

(٢) الإيمان لابن منده (ج ٢ ص ٦٧٢).

تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨]، بل إن الدين الإسلامي لم يقتصر على توجيه منتسبيه بعدم سب الناس الأحياء فحسب، بل تعداهم إلى منع السب حتى للموتى قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا**»(١) وحذر الدين الإسلامي من استخدام اللسان في النيل من عروض البشر، أو في اساءة استخدامها، واعتبرها موصلة بصاحبها إلى استحقاق دخول النار، في الحياة الأبدية قال رسول الله ﷺ: «**وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد ألسنتهم**».

في ظل الإسلام اغفر للناس جرائمهم:

شخص سبك، أسمعك كلمات قذرة، وبالرغم من استطاعتك الرد عليه، وابتغاءً لمرضات خالقك تفضلت عليه بعدم سبه بل وغفرت له جرمه، ما مصير صبرك عليه؟

رجل آذاك، تطاول عليك، أجرم في حقك، ومع تأجج نار الغضب في قلبك وتوجه نفسك بالثأر منه، ومع قدرتك أن تعتدي عليه بمثل ما أعتدى عليك، في ظل الإسلام الأفضل أن لا ترد عليه الاعتداء، وأن تغفر له زلاته، وما ذلك إلا لأنك بشر وما أكثر أخطاءك، وجرائمك إذا ما أحصيتها، وبما أنك ترجو من خالقك أن يغفر لك جرائمك، لتغفر للناس جرائمهم، امتثالًا لقول خالق:

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٦ ص ١٨٠).

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، بالامتثال لتوجيهات رب العالمين يغفر لك ذنوبك ويعلي من قدرك في الحياة الأبدية.

الإسلام يوجه منتميه بأن يغفروا للكفار جرائمهم:

لأن الدين الإسلامي دين رب العالمين، ويُعد دين الرحمة دين التسامح، دين التعايش، وفي ظل المجتمع المسلم اذا أقدم من لا يدين بالدين الإسلامي بإلحاق الأذى بمعتنقي الدين الإسلامي، وتأجج دافع الانتقام بمن ظلموا صوب المعتدين، وبهذا الحال يطالب رب العالمين عباده المظلومين بأن يغفروا لمن ظلموهم، ويسامحوهم على جرائمهم، وذلك مقابل أن يعلي من درجاتهم، بأن يثيبهم الدرجات العلية إذا ما عادوا إليه في الحياة الأبدية قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤].

الشكر في ظل الإسلام:

المطلوب من البشر أن يقدموا الشكر لكل من قدم لهم منفعة، أو مصلحة، ولو كلمة طيبة، وإذا كان ذلك في إطار البشر فمن باب أولى أن يقدم الإنسان الشكر لمن تفضل عليه ليس بخلقه في أحسن تقويم فحسب، بل بتفضله عليه وبكل شيء، ألا وهو تقديمه الشكر لرب العالمين، خاصة على نعمه الظاهرة والباطنة للإنسان، وأولاها نعمة الهداية للإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]، وبما أن الله ليس بحاجة لشكر الشاكرين، مع ذلك فمن يشكر الله فإنما يشكر لنفسه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢].

ثم بعد الشكر لله، يأتي بالمرتبة الثانية الوالدان في استحقاق الشكر ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤].

وبعد الوالدين يأتي الشكر لكل من تفضل عليك، ولو بشيء يسير، قال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١) وفي كل الأحوال من واجب كل المسلمين استيعاب قول خالقهم ثم تطبيقه في حياتهم الملموسة وذلك في قوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٦].

الصبر في ظل الإسلام:

الإنسان خلق على هذه الأرض ليعبد خالقه، ولأن الهدف الرئيس من خلق البشر عبادة خالقهم، وعبادة خالقهم محفوفة بالمكاره، وبكون الإنسان مبتلى بذلك لن تكون حياته، وتحقيق مصالحه، وعبادة خالقه على هذه الأرض مهيئة له، كما يحب، بل ستكون محفوفة بالأشواك، فظروف الحياة المعقدة ستجعله يشقى ويكدح ويتعب ويكابد سهر الأيام والليالي، كما أن المحافظة على ما افترضه خالقه عليه واجتناب ما نهاه عنه سيجعله مقيدًا بتلك الأوامر والنواهي، مما يتطلب منه المزيد من الصبر، وفي سبيل تهيئة الإنسان لعبادة خالقه، وتعمير أرضه، وتحمل كل متاعب الحياة، كان لرب العالمين أن زود خلقه بالتوجيهات الربانية، ومن

(١) سنن أبي داود (ج ٤ ص ٤٠٣).

التوجيهات الربانية في لزوم الصبر، الصبر على الزام النفس طاعة الله ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله ﷺ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

الصبر عند نزول المصائب ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

الصبر على مكر الماكرين:

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧]، وإن كان هذا التوجيه موجهًا صوب رسول الله ﷺ فبكون رسول الله محمدٍ بن عبد الله ﷺ قدوة كل مسلم، فكل توجيه رباني موجه تجاه ﷺ، هو - أيضًا - موجه لكل مسلم الصبر على صحبة رفقاء الخير ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

الصبر على كلمات البشر الجارحة ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠].

الصبر على بلاء رب العالمين ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

الصبر لحكم الله ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:٤٨]، وليكن دوما وأبدًا نهجك قول خالقك، وذلك في مواجهتك لأي

عقبة من عقبات الدينا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وليكن صبرك صبرًا جميلًا، لا متذمرًا، ولا متأففًا، من أقدار خالقك، ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥].

وأخيرًا لتدرك وتستشعر قول خالقك ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر:١٠]، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

تصرف رسول الله ﷺ حيال الرجل الذي بال في المسجد:

المسجد بنظر رسول الله ﷺ وبنظر معتنقي الدين الإسلامي بيت الله، وكونه بيت الله أضحى له مكانة كبيرة في قلوب المسلمين كافة، وبحياة رسول الله ﷺ ودخول رجل أعرابي المسجد، كان له أن بال في داخل المسجد، أي في المكان الذي يعُد مقدسًا في قلوبهم، ببول الأعرابي فيه، ثارت حفيظةأصحاب رسول الله ﷺ منه، وبغضب بعض القوم من الأعرابي، وهمهم البطش به، إلا إن سماحة الإسلام كانت هي السائدة، والموجهة صوب العفو عن المذنبين، بذلك خاطبهم رسول الله ﷺ بقوله: «**إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين أهريقوا عليه دلوا من ماء أو سجلا من ماء**»(١) وبذلك التوجيه غفر للأعرابي زلته.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج ٢ ص ٢٣٩).

تحية معتنقي الإسلام:

الإسلام يحث منتسبيه على تواصل الود، وقطع الجفاء، وصفاء النفس من كل الرواسب، التي تفضي إلى تعكير المزاج، ومن ثم اتخاذ مواقف سلبية من بعض البشر، وذلك بسبب طبيعة الحياة من تشابك في المصالح، أو لاختلاف الآراء، والتوجهات من هنا مع كل التقاء بين شخصين، أو أكثر، وسواء كان الالتقاء أثناء الدخول إلى المساكن، المأهولة بالسكان، أو في الطريق، أو في أماكن العمل، أو أي مكان، حث الإسلام منتسبيه بأن يبتدر أحدهم بإلقاء التحية، وهي السلام عليكم، ورحمة الله فيرد الشخص الذي ألقيت عليه التحية بقوله: وعليكم السلام، أو يكمل التحية بقوله: وعليكم السلام، ورحمة الله، وبركاته ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

تحقير الناس في ميزان الإسلام:

الدين الإسلامي يوجه منتسبيه بأن يعتصموا بحبل الله جميعًا، وبحيث يصبحوا متحدي الصفوف، مؤتلفي القلوب، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويعمل على تربيتهم، وبحيث يكونوا كما قال عنهم رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١) هذه الصورة هي التي يرضاها رب العالمين لعباده ولأن الحياة صعبة، ومصالح الناس معقدة، ومتداخلة، ولأكثر من سبب، سيتولد الخصام بينهم، وقد يتنامى الخصام إلى

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

درجة العداء، ومن ثم ينال كل خصم من خصمه، من هنا حث رب العالمين خلقه بأن يتحلوا بالصبر، ومقابلة أخطاء الناس بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

كما وجههم بقول رسوله ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(١) وبهذه التوجيهات الربانية كل من ينمي في قلبه المفاسد، ويتمادى في تحقير أبناء جلدته، وسواءً باللفظ، أو الإشارة، أو العمل، أو بأي وسيلة يفهم منها إنها رسالة تحقير، ومات دون توبة، أصبح معرض لسخط خالقه ومن ثم محاسبته.

الهمز واللمز في ميزان الإسلام:

اللمز: توجيه الاستهزاء، والسخرية، والتحقير، صوب فرد من المسلمين، أو صوب أكثر، وقد يتم اللمز بالعين، أو اللسان، أو اليد، أو القدم، أو بأي وسيلة يُقصد بها امتهان كرامة الإنسان، ولأن كرامة الانسان في شريعة الإسلام مصانة، ورب العالمين لا يريد لأي بشر التحقير، والإهانة، وجه كلامه لكل من يقدم على الاستهزاء، والتحقير بعباده بقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ

(١) صحيح مسلم (ج ٨ ص ١٠).

﴿ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، لا تلمزوا أنفسكم، فقبل أن يكيل العايب العيب لغيره، فإنه بهذا السلوك يعيب نفسه(١) وإن ألحق الضرر النفسي بأي انسان، فإن ظلمه سيفضي به إلى غضب خالقه عليه ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]، ولن يفلت من عقاب خالقه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٥٨].

حق الحيوانات في ميزان الإسلام:

في ظل الدين الإسلامي دين رب العالمين للحيوانات كافة وعلى الأخص التي يُنتفع بها حقوق، تجاه بني آدم، بخلقها سخرها رب العالمين لمصلحة بني آدم، وكونها تعيش تحت رحمتهم، وفي سبيل توفير مأكلها، ومشربها، والعناية بها لم يترك الإسلام الباب مفتوحًا للبشر ليقصروا في ذلك، أو ليتمادوا في إساءة استخدامها، أو تعذيبها إنما كان له توجيههم برعايتها، والاهتمام بها قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَنِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى ارْتَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا، فَقَالَ: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(٢) ومن صور رحمة الدين الإسلامي

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المؤلف الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ج ١١ ص ١٤).

(٢) شعب الإيمان لأحمد بن الحسين الخرساني (ج ٥ ص ٦٢).

بالحيوانات وعلى الأخص تلك التي يستفيد الإنسان من ألبانها، ولحومها بإقدام المسلم بذبح الحيوانات بغية أكلها، وجهه الدين الإسلامي بأن يتخذ السبل التي تعجل بذبح الذبيحة، ومن ثم لا تتعرض للمزيد من الآلام قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»(١).

ولم يكتف الإسلام بتحفيز المسلمين برعاية الحيوانات فحسب، بل توعد بمحاسبة كل من يسيء استخدامها، ويجور عليها، فقد توعده خالقه بالعذاب الأليم، وذلك في الحياة الأبدية قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(٢) هذه صورة موجزة عن حقوق الحيوانات في ظل الإسلام، وإذا كان الإسلام رحيمًا بالحيوانات، فهو أرحم ببني آدم.

في ظل الإسلام الزم الصدق:

الدين الإسلامي من مرتكزاته أن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه، صادقًا مع أسرته، صادقًا مع أبناء مجتمعه، من المنتمين للإسلام، صادقًا مع أبناء جلدته من البشر، ولأهمية أن يلزم الإنسان نفسه الصدق، ولا تلفظ لسانه إلا بكلمات صادقة قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن**

---

(١) سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٣).

(٢) صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٥٧).

الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[1].

الرياء في ميزان الإسلام:

بما أن الانسان محاط بأعداء[2] أي بإبليس وجنوده، ونفسه الأمارة بالسوء، وشياطين الإنس، ولأن الحياة الدنيا هي مرحلة ابتلاء من رب العالمين لعباده لينظر أيهم أحسن عملًا فيها، فمع رحيله منها وبلوغه الحياة الأبدية إن كان قد صبر على ابتلاء خالقه، وحارب أعدائه المذكورين آنفًا، وأحسن العمل سيعطيه خالقه حتي يرضى، وبذلك كان للإسلام توجيه معتنقيه خلال الحياة الدنيا بأن يقصدوا بكل أعمالهم وأقولهم مرضات خالقهم، لا مصالحهم الدنيوية قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وأن لا يبغون من كل أقوالهم وأعمالهم مراءة الناس ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

ومن أشكال الرياء الشخص الذي يقوم بالتصدق على الفقراء بغية لفت الأنظار إليه هذا الشخص ينبغي له القصد من بذل ماله للفقراء مرضات خالقه، لا أن يظهر أمام مجتمعه بأنه صاحب فضل، واذا قصد بالتصدق على الفقراء

---

(١) الجامع في الحديث لابن وهب (ج ٢ ٦١٩)، ومسند الشاشي (ج ١ ص ٢٥٧).

(٢) لا يقتصر اعداء الإنسان بإبليس وجنوده والنفس الأمارة بالسوء وشياطين الانس بل يوجد للإنسان اعداء آخرين فقد يبتلى الإنسان بأن يكون أولاده أو زوجته أو ماله عدوًا له ولذلك طالب رب العالمين عباده بأن يتخذوا حذرهم من أولئك الأعداء.

مدحه، ولفت الأنظار إليه لن يتقبل الله منه، وستذهب نفقاته هدرًا بل سيؤدي به عمله إلى إغضاب خالقه عليه.

ومن المراؤون أناس تعلموا العلم بغية مجادلة العلماء، أو السفهاء، أو تعلموا العلم بغية أن ينالوا من خلاله متاع الدنيا الزائف، هؤلاء لن يرفعهم علمهم بل سيكون سبب إلى غضب خالقهم عليهم، ومن ثم إدخالهم في عذابه إذا ما عادوا إليه قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار**»(١).

ومن أشكال الرياء أناس حملوا سيوفهم مع من حمل في سبيل الله، ومع أن هؤلاء معرضون للقتل، ومرتبة المجاهدين في سبيل الله عالية إلا أن هؤلاء إذا لم يقصدوا بجهادهم مرضات الله، وإنما أرادوا الشهرة، أو إظهار شجاعتهم من هنا سيكون مصير هؤلاء وكل من لم يقصد بعمله مرضات خالقه قول رسول الله ﷺ: «**أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة، رجلٌ استشهد فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من**

(١) سنن ين ماجه (ج ١ ص ٩٣).

أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، فقال: ما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب، قال: أبو عبد الرحمن ولم أفهم تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكن ليقال: إنه جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه فألقي في النار»[1].

(١) السنن الكبرى للنسائي (ج ٤ ص ٢٨٥).

الفصل الخامس
الجنس في الإسلام

الزنا في ميزان الإسلام:

الدين الإسلامي بخلقه لغريزة إتيان النساء، ابتداءً من الوصول لسن البلوغ، أو ما بعده، فتح الباب لتفريغ الرغبات الجنسية عبر الزواج المشروع، وحث الوالدين على تسهيل الحصول على الزواج، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترتضونه دينًا وخلقًا فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١).

وحفظًا من الإسلام لكرامة المرأة، وصون جسدها ونفسيتها لم يجعلها سلعة لتفريغ شهوات الرجال، وأغلق أمامها كافة الطرق التي تفضي إلى امتهان كرامتها، لأن فتح ممارسة الجنس، وفي ما حُرم على المسلمين يلحق الضرر بهن، وبالمجتمع، فبممارسة المرأة للجنس مع أكثر من رجل، اذا حملت لا يعرف بالتحديد من هو والد الطفل، وبرفض الممارسون معها لجريمة الزنا، لتبني الطفل، والحاق اسمه باسمهم، هذا الحال يخلق مشاكل اقتصادية، ونفسية للمرأة، وللطفل، وكما أسلفنا بفتح تصريف الرغبات الجنسية عبر الزواج المشروع، ولأن بعض الرجال لا يقتنعون بتصريف رغباتهم الجنسية، والنفسية عبر امرأة واحدة،

(١) سنن ابن ماجه (ج ٣ ص ١٠٨).

ولهذا السبب وأسباب أخرى، أباح رب العالمين لهؤلاء الصنف تعدد الزوجات، وذلك بإمكانيتهم أن يتزوجوا بأربع نساء، شرط العدل المادي، والجنسي بينهن ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]، ولصون كرامة المرأة، ورفع مكانة المرأة المتدينة، حفز الإسلام الراغبين بالزواج بأن يتزوجوا بالمرأة المتدينة، أي التي تراقب خالقها في كل أفعالها وأقوالها، قال رسول الله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يدك**»(١).

ولأن أي انسان ومهما كانت ديانته لا يرضى بأن يُمارس الجنس مع زوجته، أو أمه، أو أخته، مما سلف لصون كرامة الإنسان اهتم الدين الإسلامي بهذه المشكلة، وعمل على عدم حدوث الزنا، وذلك عبر النهي عن الوسائل التي تقود النفس لممارسة الزنا قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وبإرشاد الإسلام للذكور بما ينبغي عليهم من غض النظر، بين للنساء ما ينبغي عليهن قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ

(١) صحيح البخاري الطبعة الهندية (ج ١ ص ٢٦٣٧).

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١].

كما حذر الإسلام كلا الجنسين من اقتراب المسببات للزنا، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢]، ولم يكتفي بذلك بل حرم على الرجال والنساء ممارسة الزنا، وأغلظ العقوبة في من يرتكب الزنا، ففي قطاع الشباب والذين لم يسبق لهم الزوج قال فيهم خالقه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢].

وفي الآخرة توعد رب العالمين كل من مارس الزنا ولم يتب بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩].

وكل من يتعرض لعروض النساء، وذلك باتهامهن بالزنا، بغية الصاق العار بهن، كانت العقوبة فيهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٤].

ولصون أعراض الرجال والنساء، حذر الإسلام من مغبة كل من يتلذذ بإشاعة جريمة الزنا، سواء في الرجال أو النساء، وذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١٩].

إتيان الذكور في ميزان الإسلام:

رب العالمين خلق البشر، وكرمهم، وفضلهم على الكثير من خلقه، وبخلقه للبشر غريزة ممارسة ما يعرف حاليًا بالجنس، بين لهم أن الطريق الوحيد لتصريف تلك الرغبة يأتي عبر النساء، وذلك بالزواج منهن، ولأن الشرع، والعقل، والمنطق، والعرف يرفض أن يصرف الرجل شهوته الجنسية مع رجل آخر، لذلك تجمع كل الديانات على رفض اتيان الذكور، مثلهم مثل إتيان النساء.

وأما الإسلام فيرى أن مرتكب تلك الممارسات، مخالف لأوامر رب العالمين، وأن عمله خبيث، ومن الكبائر، ومن هنا بين رب العالمين للمسلمين العقوبة الربانية التي حلت بالمجتمع الذي وصل بهم الحال إلى إتيان الرجال دون النساء، وهم قوم لوط، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت:٢٨-٣٤].

بينت الآيات السالفة أن رب العالمين أرسل لقوم نبي الله لوط عليه السلام ريحًا مملوءة بالرمال والحصى، أهلكتهم، وعن بكرة أبيهم، وذلك بعد أن أمر رب العالمين نبيه ومن آمن به بأن يغادروا القرية سرًا، وعلى إثر مغادرتهم لها كان هلاك الله لكل ساكنيها. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر:٣٤].

المروجون للفواحش في ميزان الإسلام:

الإنسان في ظل الدين الإسلامي ليس ملكًا من الملائكة، معصومًا من الأخطاء، بل هو بشر يُخطى ويصيب، يجرم ويتوب، وهو في هذه الحياة مبتلى بمشاكل الحياة، ومشاغلها، وإبليس، وشياطين الجن، وشياطين الإنس، ونفسه الأمارة بالسوء، الكل يدعونه إلى التمتع بملذات الحياة، والحصول عليها من أي مصدر، سواءً أكانت حلالًا، أم حرامًا، وبالمقابل لديه عقل يميز الحلال من الحرام، ومن خلاله بتنفيذه لمنهج الإسلام القرآن الكريم وسنة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وباجتهاده في سلوك الطريق السوي المستقيم، وابتعاده عن كل ما نهاه خالقه، يتحصل على رضا خالقه في الدنيا، والنعيم الدائم في الحياة الأبدية، ولأن الإنسان بشر معرض لارتكاب الأخطاء، وأثناء إرتكابه للذنوب وعلى سبيل المثال القيام بتشويه سمعة رجل، أو امرأة، بأنه زاني، أو أنها زانية، أو أنهما فاسدان، أو غشاشان، أو سارقان، بقيام أناس بتشويههما، والتلذذ بإشاعة الفاحشة فيهما، هذا العمل الخبيث ليس من خلق معتنقي الإسلام، وبهذا السلوك صاحبه يلحق الضرر بأبناء مجتمعه أولًا، وبنفسه ثانيًا، وذلك بتعريض نفسه إلى

سخط خالقه[1] أولئك الدين الإسلامي وضع لهم ضوابط وإن تابوا تاب الله عليهم، وبالرغم من ارتكابهم لتلك الجرائم الدين الإسلامي يطالب من ألحق بهم الضرر بأن يغفروا، ويسامحوا من وقعت منه هفوة، أو زلة، وأن يسعى الجميع جاهدين في ستر العورات، ومعونة كل من أرتكب الأخطاء على صلاحهم، وشحذ هممهم صوب الصلاح والاستقامة، ومن ثم يعودوا مواطنين صالحين.

وكما أسلفنا كل من روج لإشاعة الفاحشة سينال عقوبته في الدنيا، عبر المحاكم، أو الجهات المختصة، وإن نجا من العقوبة في الدنيا، ففي الآخرة ما لم يتب في حياته فإن خالقه سيحاسبه، ثم يعاقبه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

الأخلاء في نظر الإسلام:

كل المجتمعات البشرية وعلى رأسها المجتمعات الإسلامية لا تخلي من وجود العشاق، والعاشقات، وسواءً تمحور الحب في قطاع الشباب، أم في مختلف المراحل العمرية، ومن كلا الجنسين، لأن الإنسان بشر، وعبر فطرته الطبيعية كلا الجنسين يميل للأخر، من هنا كان للدين الإسلامي توجيهاته، وحلوله العملية، ولكلا الجنسين، وذلك بتوجيه المودة في إطار ما حلله الشرع، وبحيث يفضي إلى صلاح المجتمع، لا تفككه، وإنحرافه، فإذا ما وقع الحب، أو الإعجاب، ما بين الشباب والشابات، أو بين الرجال والنساء، لأن الحب كما أسلفنا فطري، وقد

(١) جواهر القرآن للكرمي (ص ١٨٤).

يتسرب لقلب رجل أو امرأة بمجرد سماع الأذن، وبحيث يكون ذاك الحب في غير محله، فمثلًا كحب شخص لامرأة متزوجة، هذا الحب إذا نما بين الطرفين من شأنه أن يلحق الضرر بكلا الجنسين، وقد يفضي إلى تفكيك الأسرة، من هنا جاءت التوجيهات الربانية المرشدة لكلا الجنسين.

فبالنسبة للرجال خاطبهم خالقهم بقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وأما الجنس الأخر من النساء فقد خاطبهن خالقهن بقوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

ثم بتوجيه الإسلام الرجال والنساء إلى السلوك السوي المستقيم، والذي من شأنه يغلق الباب الأول لمقدمات الإعجاب، فالحب اللا مشروع، ولتحقيق رغبة الوصال بين كلا الجنسين أباح الإسلام لهما الحصول على من أحبوه، أو أعجبوا به، عبر الزواج المشروع، كما حرص الإسلام على حل مشكلة الفتيات اللاتي أمرهن بأيدي أوليائهن في اختيار من يرغبن بالزواج منه، وذلك بقول رسول الله

ﷺ لأولياء أمور النساء «**من أتاكم ترتضونه دينًا وخلقًا زوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة**»(١).

كما أعطى الإسلام الحق الكامل للمرأة، في اختيار شريك حياتها، وذلك بتوجيه أولياء أمور النساء بأن لا يزوجوهن إلا برضائهن، بقوله رسول رب العالمين ﷺ: «**الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا**»(٢).

ومع تلك التوجيهات الربانية بإمكانية اتخاذ فئات من الرجال والنساء لهم أصحاب، وفي إطار مرضات خالقهم، وبحيث تظل العلاقة محصورة في الود والاحترام، كون كلا الطرفين يراقبان الله في أقوالهما، وسلوكهما، بذلك قد يكونان من المتقين وبرحيلهم من الحياة الدنيا لا خوف عليهم ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، كما أن الإسلام حذر الرجال والنساء من مغبة أن ينجرفوا وراء عواطفهم، وذلك بإقامة علاقات صداقة، تتعدى ما هو مباح، أي تقوم على ممارسة ما حُرم عليهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

---

(١) سنن الترمذي (ج ٣ ص ٣٩٤).

(٢) سنن سعيد بن منصور ج ١ ص ١٥٥

تلك العلاقة الحميمة، تتحول في الحياة الأبدية إلا نفور وليس هذا فحسب بل إن العمل الفاسد يجعل الإنسان حينها يفر من أقرب الناس إليه ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤].

الفصل السادس
المعاملات المالية في الإسلام

الحصول على المال في ضوء الإسلام:

كما هو متعارف لدى البشر كافة أن المصدر الرئيس للحصول على المال يتم من خلال العمل، إلا أن قضية الحصول على المال في ضوء الدين الإسلامي مرهون بإرادة خالق البشر، ولأن رب العالمين هو خالق البشر والعالم بما يصلح أحوالهم أو يفسدها، وله الحق المطلق في التحكم بأرزاق خلقه، ولأن في علمه أن من البشر لو أغناه سيلحق الضرر بأبناء جلدته، من هنا كان له أن ضيق على من سينهج ذاك النهج في رزقه، وما ذلك إلا في سبيل مصلحته، ومصلحة أبناء جلدته ، فبسط الرزق لكافة البشر النتيجة المحتومة قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى:٢٧]، بما أن رب العالمين ينزل رزقه بقدر بذلك مهما أراد الإنسان أن يصبح ثريًا لن يصبح، وإن اتخذ كل السبل المفضية إلى الثراء، ذلك إذا كان هذا الشخص وأمثاله قد قدر لهم خالقهم بأن لا يصبحوا أثرياء، وهؤلاء الصنف مهما أتيحت لهم فرص العمل لن يتمكنوا بأن يصبحوا أثرياء، والسبب كما أسلفنا تدخل المشيئة الإلهية ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزمر:٥٢]، والتدخل في تضيق الرزق لأولئك الناس ما هو إلا رحمة بهم، لأنهم

ببغيهم على الناس بعد رحيلهم من الدنيا، في الحياة الأبدية سيحاسبون على جرائمهم، بذلك بقائهم في نطاق الفقر لمصلحتهم، ومصلحة من كانوا سيسقطون في شباك جرائمهم، ثم إن سبب حصول النقص بالأموال لدى فئات من المؤمنين والمؤمنات ما هو إلا بسببين.

السبب الأول: ابتلاء خالقهم لهم، لينظر أيصبرون ويحتسبون ضيق حالهم عند خالقهم، وحينها يفرج الله ما هم عليه من الضيق، ثم يعلي من قدرهم في الحياة الأبدية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

السب الثاني: بسبب المعاصي التي يرتكبونها، هؤلاء بابتلائهم بنقص في الأموال برجوعهم إلى خالقهم، ومناجاته واستغفاره وتذللهم بين يديه بأن يغفر لهم ذنوبهم، حينها يرحمهم خالقهم، ويغنيهم من فضله ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

الغش في بيع السلع في ميزان الإسلام:

حرص الإسلام على إحياء ضمائر المنتمين للدين الإسلامي كافة، ومنهم التجار، وهؤلاء حبب إليهم التعامل بصدق مع كل زبائنهم قال رسول ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»(١).

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج ٢ ص ٧).

ومما يذكر أن رسول اللهﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ صاحب الطعام: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهَّ، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: «أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(١)، وكل متعامل بالغش هو قطعًا ليس من رسول الله ﷺ أي ليس متبعًا لمنهجه ﷺ ومعرضًا نفسه لغضب خالقه، والصانع إذا ما قلل من جودة بضاعته، ولم يظهرها لزبائنه، وذلك في سبيل حصوله على المال فماله حينها يعد كسبه من حرام، وبذلك يكون عرض نفسه لغضب خالقه، ومن ثم اذا لم يتب، ويعيد الحقوق إلى أهلها فإنه برحيله من الحياة الفانية واستقراره في الحياة الأبدية سيحاسب على جرائم غشه، ومن منبع المسآلة في الحياة الأبدية الصانع، والبائع، والتاجر في ظل الإسلام يراقب رب العالمين خلال حياته في كسبه، ولا يطفف بالميزان، أو يخفي عيوب سلعته، وما ذلك إلا خوفٌ من عذاب خالقه، وطمعًا في جنته في الحياة الأبدية قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ.**»(٢).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (ج ٥ ص ٣٢٠).

(٢) مسند البزاز (ج ٧ ص ٨٧).

الربا في ميزان الإسلام:

الربا هو أن يعطي رجل لأي إنسان مبلغًا من المال لفترة محددة، مثلا نصف عام، وبانتهاء المدة يُعاد المبلغ وفوقه زيادة عن المبلغ الأصلي، هذه الحالة تسمى ربا، ولأن غالبية الشعوب هم من الفقراء، أي من المحتاجين للأموال، ونتيجة لاضطرار هؤلاء لأخذ القروض من أصحاب الأموال بغية قضاء حوائجهم، كان لرب العالمين توجيه لأصحاب المال بعدم التعامل بالربا، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠]، ولأن التعامل بالربا ينعكس سلبًا على حياة الفقراء والمساكين، ويجعلهم يزدادون فقرًا، وبالمقابل يزداد الأثرياء ثراءً، وعلى حساب الفقراء، لذلك كان للإسلام توعده بالعذاب بمن يقوم به، مستغلًا حاجة الفقراء والمعوزين، وذلك في الحياة الأبدية، أو حتى في حياته الدنيوية هذا من جانب ومن جانب آخر شدد العقوبة بمن لا يمتثل لتوجيهات خالقه، أي بعدم إقلاعه عن ممارسة الربا، وذلك بأنه سيتلقى الحرب من الله ورسوله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

المطفف بالميزان في ميزان الإسلام:

الإسلام حث على التجارة والعمل بها، ومع ذلك لم يتركها من دون ضوابط، فقد جعل للتجار حقوقًا وواجبات ومن ذلك لم يبح الغش، أو تطفيف المكيال، والميزان، وبحيث يستوفي التاجر حقوقه، سواءً عبر استيفائه للوزن، أو الكيل، أو

المال، أو أي وسيلة من وسائل التعامل، بالمقابل باستيفائه لمصالحه، حذر من مقابلة عملائه بالغش، سواءً أكان الغش بالكيل، أو الوزن، أو عدم جودة السلعة، أو في أي شيء فيه مضرة بالناس، وحرص الإسلام حرص على إحياء ضمائر التجار للإقلاع من جرائم الغش، ومن ثم حصول التوبة، ثم التنافس على الأعمال الصالحة قال رسول الله ﷺ: «**التاجر الأمين، الصدوق، المسلم مع الشهداء يوم القيامة**»(١).

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩].

وفي حالة لم يستجب المطففون، من معتنقي الإسلام لإرشادات خالقهم، ولم تتمكن سلطات الدولة من عقابهم، بنجاتهم في الحياة الدنيا من المحاسبة ينتظرهم العذاب في الحياة الأبدية، ففي حياتهم توعدهم خالقهم بالعذاب الشديد بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]، وذكرهم بأنهم مهما كدسوا الأموال عبر الغش، فإنهم من هذه الدنيا راحلون، وأمامهم الحياة الأبدية وهناك سيلقون مغبة أعمالهم، وسيكون الحساب عليهم عسيرًا ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦].

الرشوة في ميزان الإسلام:

قد لا تنعدم الرشوة من كل المجتمعات، لكنها تتفاوت في الانتشار من دولة إلى دولة أخرى، وتكاد تتمحور في الدول الفقيرة في اقتصادها ونظامها، والرشوة

(١) سنن ابن ماجه (ج ٢ ص ٧٢٤).

عادةً يتم تداولها بين الشخص الحاكم، أو الإداري، مع أي شخص بيده سلطة، وبين أصحاب المصلحة، وأحيانًا تتعدى الطرفين إلى طرف ثالث وهو الوسيط، يستخدمه الشخص المرتشي بينه وبين الراشي، وذلك لإبعاد الأنظار عنه، وهذا الشخص أي الطرف الثالث يسمى: الرائش ولأن الرشوة تفضي إلى مصادرة الحق من صاحبه، إلى المغتصب، وتتسبب في أكل أموال الناس بالباطل، من هنا كان للدين الإسلامي توجيه منتسبيه بأن يحذروا من مغبة من يتعامل بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨]، ويخرج عن حكم الآية صاحب الحق الساعي للحصول على حقوقه، فهذا إذا كان خصمه عبر وجهاته، ورشاويه، سيأخذ الحق منه، وللضرورة قام صاحب الحق برشوة الاداري، أو الحاكم، أو القاضي حتي يتحصل على حقوقه، فهذا الشخص إذا كان مجبرًا على ذلك، يُرى أنه لا ذنب عليه، وإنما الذنب على خصمه، وعلى القاضي، أو الإداري، وعلى الرائش، ولأن الحياة الأخرى هي الحياة الأبدية فبوصول الظلمة من الراشين، والمرتشين، إلى الحياة الأبدية فهناك سيكون عليهم الحساب من قبل خالقهم، قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الراشي و المرتشي و الرائش**»(١) من هنا كل من تعامل بالرشوة ومات دون أن يتوب إلى خالقه، ولم يعيد الحقوق إلى أهلها استحق اللعن، أي الطرد من رحمة الله، وأما درجة عذابه خلال الحياة الأبدية لا يعلمه إلا الله.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج ٤ ص ١١٥).

مغبة أكل مال الحرام في ميزان الإسلام:

كل إنسان على سطح هذه الكرة الأرضية لا بد له أن يعمل، ويكدح حتى يحصل على المال، ومن ثم يغذي جسده بالمال الحلال، ولأن الدين الإسلامي يوجه المسلمين بأن يكسبوا أموالهم من خلال الأعمال المباحة، وبذلك حرم عليهم ما دون ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء:٢٩]، قال رسول الله ﷺ «**إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون:٥١] **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه، حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غذي بالحرام، فأنى يستجاب له**»(١) بذلك أي مالًا اكتسبه الإنسان، برحيله من الحياة الدنيا، سيسأل من أين اكتسبه، وفيما أنفقه قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ.**»(٢) ولن يكتفي رب العالمين بالمسآلة فحسب، بل كل من كسب المال بالحرام، سيكون مصيره في إطار قول رسول الله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِّيَ بِحَرَامٍ**»(٣).

---

(١) سنن البيهقي (ج ٥ ص ٥٨).

(٢) مسند البزاز (ج ٧ ص ٨٧).

(٣) المصدر السابق (ج ١ ص ١٠).

السارق أو السارقة في ميزان الإسلام:

في ظل الدين الإسلامي أراد رب العالمين للمسلمين بأن يكونوا كالجسد الواحد، بحيث يزول عنهم كل ما يؤدي إلى زراعة الأحقاد، والضغائن، والتفكك، ولعلّ أبرز ما يفضي إلى تلك الرذائل أكل أموال الناس بغير حق، ولتحقيق معالجة مشكلة السرقة، ونتائجها الوخيمة، بين رب العالمين عبر دستور المسلمين المتمثل بالقرآن الكريم، وفي كل ما ورد عن رسوله محمد بن عبد الله ﷺ كل ما يصلح أحوال البشر، ويعيدهم إلى المسار الصحيح، اذا ما حدث خلل في مسارهم، من تلك التوجيهات ما تهتم بمعالجة طبقات المجتمع الدنيا، من فقراء، ومساكين وغيرهم، ولم تقف تعاليم الإسلام عند مستوى التوجيهات، والتحفيزات لدعم تلك الطبقة، أي بمعالجة فقرهم فحسب، بل وإبعادهم عن ممارسة السرقة، فمن الحلول لفقرهم جاءت فريضة زكاة الأموال لِتأخذ من الناس الميسورين وتعاد على الفقراء والمحتاجين، وبمعالجة الإسلام لهذه المشكلة يصبح كل من أقدم على سرقة أموال الناس، أو أموال الدولة، سواءً أكان من الميسورين أو من الفقراء معرض للمحاسبة في الدنيا، وذلك بعقوبته بقطع يده، بعد ثبوت جريمته قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، قال رسول الله ﷺ: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولكن أبواب التوبة معروضة**»(١) ومن هنا كل

(١) تهذيب الأثار للطبري (ج ٢ ص ٦١١).

من تسول له نفسه بالسرقة سواءً أكان من فئات الفقراء أو الأغنياء أو من العاملين في مرافق الدولة أو المرافق الخاصة باستشعاره لإمكانية قطع يده لن يقدم على ممارسة السرقة، وكل من يمارس السرقة، ولم يكتشف أمره، ولم يتب ويعيد الحقوق إلى أهلها، ومات على ذلك، في الحياة الأبدية بعد رحيله من الدنيا سيقف أمام خالقه، وسيحاسب على كل أعماله، والنتيجة الحتمية ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨].

الفصل السابع
المسوغات الصحية

الأمراض النفسية في ظل الإسلام:

الأمراض النفسية تصيب كل المجتمعات البشرية، بما فيها المجتمعات الاسلامية، لكن الفارق أن دستور المسلمين المتمثل بالقرآن الكريم وكل ما ورد عن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وضع للمسلمين توجيهات وإرشادات ربانية، تعمل على توجيه البشر صوب تغذية متطلبات أجسادهم، وأرواحهم، وفي إطار ما هو مشروع، فعبر المنهج الرباني يرى الإنسان الإجابة على أسئلته كافة، والتي قد تكون إجابة لما يعانيه، أو تكون العلاج الشافي للمرض النفسي، الذي حل به، فمثلًا الشخص الذي يسعى جاهدًا في الحصول على الأموال والوصول إلى درجة الثراء، برغم تفانيه في العمل، وسعيه الحثيث صوب إنماء أمواله، قد لا يتحصل على الثراء، وإذا ما كان هذا الحال شغله الشاغل، وأوصلته ظروف الحياة الصعبة إلى درجة إصابته بالمرض النفسي، هذا الشخص عندما يدرك أن الحصول على المال، ومن ثم الثراء ما هو بيده، وإنما بيد خالقه، وأنه لن يحصل إلا ما كُتب له، ولعلم هذا الشخص أن حياته ما هي إلا أيام، وسنين، وسيرحل وليعيش في الحياة الأبدية، أبد الآبدين، وهناك إما النعيم الدائم، أو العذاب الأليم، وبإدراكه بأن خالقه قدر له أن لا يصبح ثريًا، وبحسب رغبته إن

استجاب له خالقه وأصبح ثريًا، قد يجعله الثراء يفسد بالأرض، ومن ثم يكن المال سببًا لدخوله النار، في الحياة الأبدية ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد:٢٦].

وبما سلف وإدراك هذا الشخص أن من سبب عدم الحصول على الثراء المادي قد يرجع لابتلائه، من قبل خالقه، لينظر إليه أيصبر على حاله، ويحتسب أجره لدى خالقه، ومن ثم بصبره، يثيبه، ويرفع من قدره في الحياة الأبدية، بعد مغادرته للحياة الفانية، فهذا قد يكون علاجًا لمرضه النفسي، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وعلى العموم يصاب الشخص بالمرض النفسي عادةً نتيجةً لابتعاده عن منهج خالقه، المنهج الرباني، والذي كما أسلفنا يرسم له الطريق السوي في الدنيا، والذي يجعله متزنًا في سلوكه، مقتنعًا بحاله، وفي أي ظرف ما لم ينهج الإنسان نهج خالقه، فإن النتيجة قول رب العالمين: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، وبتوجه الإنسان صوب الحصول على ملذات الحياة، وبانصباب كل جهده صوب الحصول على المناصب القيادية، أو تكديس الأموال، أو بذل فائق جهده في سبيل الحصول على أي شيء مادي، أو مركز اجتماعي، ونتيجة لتعقيدات الحياة بعدم الحصول على مبتغاه يصاب بالإحباط النفسي، ومن ثم يتطور الحال به إلى إصابته بالمرض النفسي، ولا شفاء له إلا بتمعنه بمنهج معتنقي الإسلام، أي بآيات القرآن الكريم، والتي من

خلالها سيجد الإجابة على ما يعانيه، وعبرها وبتعلقه بحبل خالقه، والحاحه عليه بالدعاء بأن يشفيه من مرضه النفسي، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

بتعلقه بحبل خالقه ستهدأ أعصابه، وتسكن نفسه، ويرتاح قلبه، وذلك مصداقية لقول رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

مريض الجسد في ظل الإسلام:

إذا أُصيب الشخص بمرض سواءً أكان المرض يرجى شفاؤه، أو مرض عضال لا يرجى شفاؤه، في ظل الدين الإسلامي المسلم المريض مهما كان مستوى حدة ألمه يدرك أن خالقه قدر له هذا المرض، ومن هنا لا بد له أن يرضى بقدر الله ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ويدرك أيضًا أنه في هذه الدنيا مبتلى، وإذا كانت إرادة خالقه أن يبتليه بالمرض بغية أن يكفر عنه أخطاءه، أو إن كان شخصًا سويًا مستقيمًا لا جرائم له، فابتلائه بالمرض بغية أن يرفع من درجات حسناته، اذا ما صبر على أوجاعه، وحمد خالقه على ما قدره له، ما سبق في كلا الحالتين فيهما الخير، ففي الخير ابتلاء وفي الشر ابتلاء قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

قال رسول الله ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»(١) وفي سبيل من يصبر، ويحتسب حاله عند خالقه قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته**»(٢) وخلال مرض المسلم بعلمه أن لكل داء دواء، وبذلك يعمل على معالجة مرضه، وسواءً أكانت نتيجة التداوي فعالة أم لا جدوى منها، فخلال اهتمامه بمداواة مرضه ولعدم شفاؤه بكل الأحوال لسان هذا الشخص تظل مرتبطة بخالقه، ولا يسأل الشفاء إلا منه ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، وبتصاعد المرض واستعصائه من الشفاء وطول بقائه تحت الألم هذا المريض المبتلى يستذكر في مخيلته حال نبي الله أيوب عليه السلام، فعندما أبتلاه الله بالمرض، وإلى أن أخرجه أهل بلدته من قريته، وذلك لخوفهم من انتقال العدوى إليهم، وبطول مرض نبي الله أيوب عليه السلام، وديمومة آلامه وبرضاه بقدر خالقه، وصبره على أوجاعه، ثم بوصول مرضه وآلامه درجة الذروة، حينها خاطب خالقه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

---

(١) صحيح مسلم (ج ٤ ص ٢٢٩٥).

(٢) سنن البيهقي الكبرى (ج ٣ ص ٣٧٣).

فكانت استجابت خالقه له، وذلك بتوجيهه بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص:٤١-٤٢]، بشفاء نبي الله المبتلى أيوب عليه السلام يتذكر المريض المسلم درجة آلام نبي الله أيوب، وطول توجعه، ثم تفضل خالقه عليه بالشفاء، من هذا الحال دايمًا وأبدًا يدرك المسلم أن شفائه بيد خالقه، وإن عجز أمهر الأطباء من ذوي التخصصات العليا من شفائه، يدرك قول خالقه على لسان رسوله محمد بن عبد الله ﷺ عندما سئل: أي الناس أشد بلاء؟ قال ﷺ: «**الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، فإذا كان الرجل صلب الدين يبتلى الرجل على قدر دينه، فمن ثخن دينه ثخن بلاؤه، و من ضعف دينه ضعف بلاؤه**»(١)، وبذلك تطب نفسه، رغم آلامه المتصاعدة.

الطيبات من الرزق في ظل الإسلام:

الدين الإسلامي حلل للمسلمين كل ما هو طيب، وحرم عليهم كل ما هو خبيث، وهذه القاعدة تحوي في طياتها أكثر من توجيه، ففي مجال الطعام، والشراب كل ما هو طيب، ويفيد الجسم، ولا يضره يعد حلالًا أكله، أو شربه، وفي مجال العمل كل عمل طيب يفيد الإنسان يعد حلالًا ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج ١ ص ٩٩).

وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢].

ما الذي حرمه رب العالمين على عباده:

من الأطعمة والأشربة التي حرمها رب العالمين على المسلمين كافة قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ﴾ [المائدة:٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٤٥].

وعلى العموم مما حرمه رب العالمين على معتنقي الدين الإسلامي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

الفصل الثامن
مسوغات الاهتمام بالعقل والروح

العلم في ظل الإسلام:

رغب الدين الإسلامي في تعلم العلم، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١)، ومنزلة العالم لدى خالقه تتحدد بقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١]، ولأهمية العلم، حث الإسلام منتميه على تعلم العلم قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»(٢).

فتعلم العلم الذي يعرف الإنسان بخالقه، ويفضي به إلى رضا خالقه، ويصلح حاله، ونفسه، في هذه الدنيا، يُعد كما أسلفنا فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكل

---

(١) مسند أحمد (ج ٥ ص ١٩٦).

(٢) تفسير روح البيان لإسماعيل حقي (ج ٣ ص ٤٠٤).

ما أنحرف الناس عن منهج خالقهم، كلما برزت الحاجة إلى العلماء؛ وذلك ليسهموا في إصلاح المجتمع ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، فتعلم العلوم الدينية ككتاب الله والعلوم المتعلقة به كافة وتعلم سنة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ تعلي من قدر المسلم في الحياة الدنيا والآخرة، ومع أنهما أساس العلوم الدينية، وأجر تعلمها وتعليمها كبير عند الله، إلا أن الأجر لا يتوقف عند هذه العلوم، فكل علم يؤدي إلى رضاء رب العالمين، وإفادة البشر في دينهم، ودنياهم، أجر تعلمه، وتعليمه كبير، لدى خالق البشر، ومن هنا العلوم الطبيعية، والتطبيقية، كالكيمياء، والفيزياء، والفلك، والطب، والهندسة، وغيرها من العلوم والمعارف، كل من تعلمها، وعلمها، وكان القصد بعلمه، وبكل أعماله وأقواله رضاء خالقه، في نظر الإسلام سيعلي الله من قدره في الدنيا، والآخرة، وسيتحقق فيه قول خالقه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١]، وكل من تعلم العلم وسواءً كان العلم في إطار علوم الدين، أو العلوم الطبيعية، بغية أن يسخره في الحصول على متاع الدنيا، لا إصلاح نفسه، وافادة أبناء جلدته، يُخشى عليه من قول خالقه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]، ولمعالجة طالبي العلم الساعين صوب الحصول على متاع الدنيا الزائف، حذرهم

خالقهم من سلوكهم لهذا الطريق بالآية السابقة وعبر رسوله محمد بن عبد الله ﷺ في قوله: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ فِي الْمَجَالِسِ، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»(١)، وقوله ﷺ: «**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(٢).

التوبة من الذنوب في ظل الإسلام:

خلق رب العالمين الإنسان، وعبر رسله بين له الطريق المستقيم، الذي إذا ما سلكه سيرضى عنه في الدنيا، ومن ثم يدخله في جنته في الحياة الأبدية، وإذا ما سلك الطريق الآخر، وظل طول حياته يرتكب الجرائم، ولم يتب، سيفضي بنفسه إلى غضب خالقه في الدنيا، وإدخاله في جحيمه في الحياة الأبدية، ولأن الإنسان ليس ملاكًا، ولا معصومًا من الأخطاء، وهو مبتلى بالأرض، وفي سبيل ذلك خلق له الله غرائز تقوده إلى غضب خالقه عليه، وذلك إذا لم يحارب توجيهات تلك الغرائز، ويبعدها عن نفسه، ومن تلك الغرائز التي تتسبب في إفساد حياة الإنسان، ومن ثم غضب خالقه عليه إضافة إلى عدوه الأول إبليس حب الحياة، والميل والركون إليها، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠-٢١]، ومن حب الحياة جبل الإنسان على طول الأمل، وهذا الجانب يعمل الشيطان على تنميته في قلوب البشر حتى أنهم في حياتهم يشعرون وكأنهم سيعيشون أبد الآبدين، بذلك تظل أمانيهم لا نهاية لها، وفي طول الأمل يحذرهم خالقهم من

(١) مسند البزاز (ج ١٣ ص ٤٨٧).

(٢) مسند أبي يعلي (ج ١١ ص ٢٦٠).

مغبتها بقوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر:٣]، ومن غرائز البشر الميل إلى الظلم والبطش، وبحسب طبيعة الإنسان إن ظُلم، و كان الظلم الذي لحق به لا يطاق، تدفعه غريزة الانتقام، صوب الانتقام لنفسه، وببالغ القسوة، وفي صدد البطش وبمنتهى القسوة وصف الله بطش إحدى الأمم بقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:١٣٠]، ومن الدوافع المعادية للإنسان تزيين حب الشهوات، وهذه تدفعه صوب الميل للدنيا، والركون إليها، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران:١٤]، وكما ذكرنا آنفًا أن العدو الأول لآدم وذريته هو:

إبليس وذريته، ومنهم حذر رب العالمين آدم وذريته بقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠]، ومن العدو الأول لبني آدم إلى العدو الساكن في فؤادهم، النفس الأمارة بالسوء، وهذه دايمًا وأبدًا تدفع بصاحبها صوب الحصول على ملذات الحياة، وإن كانت في ما حرمه رب العالمين على عباده، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، ومع ذلك مع كل محاولة للنفس بأن تقود صاحبها إلى إرتكاب الجرائم لا بدَّ للإنسان أن يتذكر قول خالقه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]،

وكلما توجه الإنسان صوب إرتكاب الجرائم، سواءً في حق نفسه، أو في حق

البشر، بارتكابه للذنب، لا بدَّ له أن يراجع نفسه، ويعلن التوبة، واذا كان الذنب بينه وبين خالقه يستغفر خالقه، ويتوب إليه، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠]، وأما اذا كان قد أذنب في حق الآخرين لا بدَّ له من التوبة، والاستغفار لذبه، وأن يعيد الحقوق لأهلها، ويطلب منهم المسامحة، قال رسول الله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة من أخيه، من عرضه، أو ماله، فليتحلله اليوم، قبل أن يؤخذ حين لا يكون دينارًا، ولا درهمًا، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه**»(١)، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فالتوبة للذين يعملون السوء بجهالة، وعلى العموم إذا ما أرتكب الإنسان ذنبًا، وتاب من ذنبه، لكنه سرعان ما عاد لارتكابه للذنب، وجب عليه أن يندم، ويتوب إلى خالقه، وإن عاد للذنب ينبغي عليه التوبة، ومهما زادت ذنوبه، وتعاظمت جرائمه باب التوبة أمامه مفتوح ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وكل من آمن بخالقه، وأشرك به ليستشعر قول خالقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وأما من آمن بخالقه ثم كفر، ثم آمن، ثم

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٢ ص ٥٠٦).

كفر، فإن مصيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٣٧]، وبرحمة من الله وفضله يظل باب التوبة مفتوحًا للإنسان، ما لم يأتيه الموت ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٨]، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١).

أول إنسان مخلوق:

أول إنسان خلقه رب العالمين هو آدم عليه السلام، وعلى ضوء منهج رب العالمين خُلق أبو البشرية آدم عليه السلام من تراب، ومراحل خلقه تمت كالتالي

أولًا: المادة التي خلق منها آدم عليه السلام تراب، أي من تراب الأرض التي يعرفوها كافة البشر(٢) ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩].

ثانيا: حول رب العالمين التراب إلى طين متماسك ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات:١١].

ثالثا: حول رب العالمين الطين اللازب إلى صلصال ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٣٣].

---

(١) صحيح ابن حبان (ج ٢ ص ٣٩٥).

(٢) أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري (ج ١ ص ٦٧).

رابعا: حول الطين ذا الحمأ المسنون إلى صلصال كالفخار ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤].

خامسًا: نفخ رب العالمين من روحه فيه، أي في جسد آدم، المصنوع من مادة التراب(١) وذلك بعد أن شكله، وصوره في أحسن تقويم، أي على أشكال البشر، المعروفين حاليًا، ثم كان لرب العالمين تكريم أبي البشرية وذلك بأمره للملائكة أن يسجدوا له ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

مراحل خلق البشر في بطون أمهاتهم:

كما هو معلوم أن أول مخلوق من البشر على سطح الكرة الأرضية هو آدم عليه السلام، وزوجته حواء، وهذان كما أسلفنا خلقا من تراب، ثم كان من نسلهم كافة البشر، وكافة البشر مادة خلقهم، والمراحل التي يمرون بها تتحدد بقول رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج ٢ ص ٥٤).

أول مخلوق عصى خالقه:

أول من عصى أوامر خالقه هو إبليس، وهذا خلقه رب العالمين من لهيب النار الخالص، والتي لا دخان لها ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن:١٥]، وإلى أن خلق رب العالمين أبا البشرية آدم عليه السلام كان إبليس من الطائعين، العابدين، لخالقه وعلى خلفية أن فضل خالقه عليه، وعلى الملائكة آدم عليه السلام، بأمره للجميع أن يسجدوا له، أي تكريمًا لمكانته، رفض إبليس الامتثال لأمر خالقه، وبعدم سجوده خاطبه خالقه بقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:١٢].

فرد على رب العالمين بقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢]، وبتكبره على آدم، ورفض أوامر خالقه، أصبح أول عاصٍ لخالقه، كما أصبح عدوًا لآدم عليه السلام، ولنسله.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣](١).

أول عاص لرب العالمين من البشر:

بعد أن خلق رب العالمين أبا البشرية آدم عليه السلام، وخلق زوجته حواء، أسكنهما في جنته، يأكلا، ويشربا من نعيمها، وبلا أي جهد يقومان به ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة:٣٥]، وبتنعمهما

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ج ١ ص ١٧١).

بالجنة أمرهما خالقهما كامتحان لهما بأن يأكلا من سائر ثمار أشجار الجنة عدا شجرة واحدة ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩]، وكان خالقهما قد حذرهما من ابليس، ومن إمكانية أن يغويهما، ومن ثم تكن النتيجة غضبه عليهما، ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:١١٧]، وبالرغم من تحذير خالقهما كان لعدوهما إبليس اجتهاده بإغوائهما، وإقناعهما بالأكل من تلك الشجرة ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، وبين إبليس لآدم وزوجته أن سبب تحريم أكل تلك الشجرة أن يكونا ملكين، ومن الخالدين قال تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠]، كما أقسم بأنه لهما لمن الناصحين ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١].

وحينها أقدم آدم وزوجته إلى عصيان أمر خالقهما، وذلك بأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١].

وبهذه المعصية خاطبهما خالقهما بقوله: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف:٢٢]، وعلى خلفية عصيان خالقهما كانت النتيجة أول عقوبة أصابتهما أن ظهرت عوراتهما، وبمشاهدة كل منهما لعورة الآخر أخذا يخصفان من ورق أشجار الجنة ويغطيان بها عوراتهما ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١]، ثم حلت بهما

العقوبة الثانية، وذلك بأن أُخرجا من الجنة، وبصحبة إبليس[1] وإلى الأرض ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

وبخروج آدم وزوجته من الجنة، واستقرارهما بالأرض وندمهما على عصيان خالقهما، ورغبتهما في التوبة، تلقى آدم كلمات من ربه، وبتوبتهما قبل خالقهما التوبة، وأصبحا أولا تائبين على الأرض ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

أعداء الإنسان:

الدين الإسلامي كونه دين رب العالمين كرم البشر كافة، ابتداءً من أبي البشرية آدم عليه السلام وإلى أخر إنسان، من نسله، جميعهم كرمهم الله، ورفع من قدرهم، وفضلهم على الكثير من خلقه، ولأن الهدف من وجود البشر عبادة خالقهم، فقد بين لهم عبر رسله الطريق السوي، الذي سيعلي من قدرهم في الحياة الدنيا، وفي الحياة الأبدية، كما بين لهم الطريق الذي إذا ما سلكوه سيفضي بهم إلى غضب خالقهم، ومن ثم استحقاقهم الدخول في عذابه، كما أعطى لهم الحرية في ممارسة أعمالهم، وحتى اختيار دينهم، فان شاءوا فليؤمنوا بخالقهم، وان شاءوا فليكفروا به، وفي سبيل إصلاح حالهم بين لهم أن لديهم أعداءً، متربصين بهم الدوائر، إن استمعوا إليهم، واتّبعوا دربهم، فإن مصيرهم المحتوم غضب خالقهم، ومن ثم إدخالهم في ناره، في الحياة الأبدية، ومن أولئك الأعداء، إبليس

(١) درأ تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ٥ ص ٢٠٤).

وما أدراك ما إبليس تعهد أمام خالقه ليفسدن كافة البشر، عدا عباد الله المتقين، ومجمل قصته ما أوجزه رب العالمين بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١-١٨]، بطرد رب العالمين لإبليس، من خطابه لخالقه بغية إفساد البشر، عن نهج دين خالقهم قوله: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١١-١٧].

العدو الثاني للبشر شياطين الجن، وهؤلاء لا يكلون، ولا يملون من إفساد بني آدم، ومن ثم انحرافهم عن منهج دين خالقهم قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧]، وكل من لم يتخذ شياطين الجن أعداء، ويحذر منهم، فإن الشياطين سيعملون جاهدين على إفساده[1]، قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

(١) معارج القبول للحكمي (ج ٣ ص ٩٩٢).

[الأعراف:٣٠]، وبضلالهم سيكون مصير الجميع قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨]، بينما كل من اتخذ حذره من شياطين الجن، وتمسك بحبل الله فلن يكون للشياطين ليهم من سبيل ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢].

وبإغوائهم عن منهج خالقهم يصبح حال الجميع قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

العدو الثالث شياطين الإنس:

وشياطين الإنس من البشر الذين ينجرفون وراء خطوات الشيطان، وهؤلاء بحياتهم لا همّ لهم إلا التلذذ بمتاع الدنيا الزائف، ولا يهمهم أوامر ونواهي خالقهم، هؤلاء بصحبتهم لن يكون منهم العون على الصلاح، بل سيكونون عاملًا رئيسًا في إفساد الصالحين، ومن منطلق سلوكهم السيئ، والضال قال فيهم خالقهم ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤]، ولهول مغبة الوقوع تحت طائلة غضب رب العالمين ينبغي للمسلم أن يتجنب صحبة شياطين الإنس إلا إن كانت في سبيل إصلاحه، وأن يتخذ له أصحاب صالحين ومن أصحاب العقول النيرة قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ**

الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

العدو الرابع النفس الأمارة بالسوء:

كل إنسان لديه نفس، ونفسه دائما تعمل على إرشاد العقل في تلبية مطالب الجسد، وإن كانت تلك المطالب ستفضي إلى إغضاب خالقه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٣]، وبتوجيه النفس لصاحبها بالحصول على رغباتها وذلك من غير حلها، بذلك ستكون قد أفضت بصاحبها إلى عصيان خالقه، ومن ثم إدخاله في جحيم ناره، بالمقابل كل من فطن لغي نفسه واجتهدا في إصلاحها فإن النتيجة المحتومة قول رب العالمين: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

التوكل على رب العالمين في ميزان الإسلام:

لديك مشكلة تريد حلها، ولك خيارات لحلها، ولا تدري أي الخيار المناسب، أو لديك مشروع، وأنت حيران أتقدم عليه أم تحجم، أو لديك أي عمل وأنت محتار أتنجزه أم تلغيه، أو أي شيء من أمور دنياك يشغلك، ولا تعرف ما تقوم به.

إن كان الموضوع يستحق الاستشارة استشر، وبكل الأحوال عليك أن تصلي لخالقك ركعتين استخارة، وخلالها تناجي خالقك بأن يلهمك باتخاذ القرار الصائب وذلك بقول رسولك محمد بن عبد الله ﷺ: «**اللهم إني أستخيرك**

(١) صحيح ابن حبان (ج ٢ ص ٣٢١).

بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر، ولا أقدر وتعلم، ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني قال: ويسمي حاجته»(١) بعد ذلك ما يرجح في ذهنك قم به وأنت متوكل على خالقك بمعنى أن تستشعر بأن خالقك لن يضيعك، وإن جاءت النتائج مخالفة لما تحب، فلسبب تجهله وقد يجعله الله في ميزان حسناتك إن صبرت واحتسبت، وبكل الأحوال لن يضيعك خالقك، ولتدرك بأنه لن يصيبك إلا ما كتبه ربك لك ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]، ومما سبق دائمًا وأبدًا الزم نفسك قول خالقك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣].

وقول رسولك محمد بن عبد الله ﷺ: «**لَو أَنَّكُم تَوَكَّلُون عَلَى اللهَّ حَق تَوَكُّلِه، لَرُزِقْتُم كَمَا تُرْزَق الطَّيْر، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوح بِطَانًا**»(٢).

(١) صحيح البخاري (ج ٢ ص ٧٠).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (ج ١٠ ص ٣٨٩).

في ظل الإسلام يدافع الله عن المؤمنين:

تعمل في أي مجال من مجالات الحياة ولديك أعداء، وتخشى أن يلحقوا بك أو بمصالحك الضرر، لديك مشاكلك الخاصة، وأعداؤك يتربصون بك الدوائر ليزهقوا روحك، أو ليلحقوا بك الضرر في ظل منهج رب العالمين.

أولًا لتراجع حسابك، وإذا كنت ممن يرتكبون الجرائم في حق الآخرين لتدرك أن أي ضرر سيصيبك ما هو إلا نتيجة لأعمالك الظالمة - تجاه أبناء جلدتك، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠].

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

وبمراجعتك لصفحاتك السوداء عليك أن تتوب إلى خالقك، وتعيد الحقوق إلى أهلها إن ما زالت عالقة في ذمتك.

ثانيًا إذا كانت اعمالك صالحة، ولم تلحق الضرر بأحد، ومع ذلك أصبح لك أعداء، وبلغ بك الخوف ذروته من أن يلحقك الضرر، حينها ينبغي عليك أن تدرك أن ما أصابك ما هو إلا ابتلاء من خالقك؛ لينظر أتصبر وتحتسب، وبصبرك يجزل لك خالقك العطاء، وذلك في الحياة الأبدية، ثالثًا عليك أن تعلم بأن رب العالمين يدافع عن المؤمنين وبذلك لتستشعر قول خالقك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨]، باستشعارك لذلك؛ لتدرك أن أي قوي، أو جبار في هذه الدنيا، ما هو إلا مخلوق ضعيف، لا حولً له ولا قوة أمام خالقه، ففي الحديث القدسي من توجيه رب العالمين لعباده قوله: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي إنكم الذين**

تخطئون بالليل والنهار وأنا الذي أغفر الذنوب، ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوت فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، إلا كما ينقص البحر أن يغمس المخيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1] ولتستشعر أنه لن يصيبك إلا ما قدره خالقك لك: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]، وحينها قطعًا سيرتاح قلبك، وتهدأ اعصابك.

الأمن من مكر رب العالمين في ظل الإسلام:

في ظل الدين الإسلامي المسلم يظل فطنًا، حاذقًا وإذا ما وسع عليه خالقه في رزقه، وحاله ينبغي عليه الاَّ ينجرف وراء متاع الحياة الدنيا، كي لا ينسى مصيره المحتوم في الحياة الأبدية، ومن هنا يظل قول خالقه حيًا، نابضًا في قلبه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]، وأما إذا شغلته الدنيا بزخرفها، ومتاعها،

---

(١) معجم شيوخ بن عساكر (ج ١ ص ٤٢٤).

ونسي أو تناسى الاستعداد والعمل ليوم الرحيل، وللحياة الأبدية، فخلال انغماسه في ملذات الحياة الدنيا، وانشغاله بها، بانتهاء عمره، ورحيله من الحياة الدنيا، فحينها ليس أمامه إلا الإفلاس، والندم الشديد على ما فات من عمره، ولذلك ينبغي على المسلم أن يحذر من مغبة استدراجه إلى ما لا يحمد عقباه قال رسول الله ﷺ: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ قول خالقه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤]،(١)، وحتى لا يغتر الصالحين بأعمالهم الحسنة، وكذلك حتى لا ييأس أصحاب الذنوب من غفران خالقهم على هؤلاء وأولئك أن يستشعروا قول رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»(٢).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج ٤ ص ١٤٥).

(٢) المصدر السابق (ج ١ ص ٣٨٢).

مفرج الكربات:

الله مفرج الكربات، وعبر الإسلام يوجه معتنقيه صوب التكافل الاجتماعي، وبحيث يصبح الفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل في مأمن من تقلبات الليالي، كما يصبح معتنق لإسلام آمن من نتائج الكوارث الطبيعية من زلازل، وبراكين، أو من كوارث أعمال البشر كالحروب، أو النصب والاحتيال، ومن صور تفريج الكربات.

الأراملة بموت زوجها أو طلاقها بحالة غياب من يكفلها، هذه المرأة بغية مرضات الله من المسلمين من سيقوم برعايتها، وكفالة أمثالها، أولئك الذين سيقومون بكفالتها، في حقيقة الحال ما قاموا بذلك إلا لأن الله سخرهم لفعل الخير، وبذلك الحقيقة الساطعة سطوع الشمس، أن مفرج الكربات هو خالق البشر، المتكفل بمطعمهم، ومشربهم، وملبسهم الفقير المعدم إذا أصبح لا يملك قوته وقوت أولاده أو أضحى لأي سبب من الأسباب بحاجة ماسة لبناء منزل يسكن فيه مع أولاده، أو لاستئجار شقة، فمن سيقوم بتفريج كربته بتوفير مطعمه ومطعم أولاده ومن سيدعمه بتوفير مسكن لأولاده، أو توفير إيجار شقة سكنه ولو لشهر واحد، كما أسلفنا مفرج الكربات، رب العالمين، وهو من سيقوم برعاية هذا الشخص، وذلك بتسخير أحد الخيرين لفعل الخير، وهذا الشخص بقيامه بفعل الخير، لا هدف له إلا ابتغاء مرضات خالقه، أولئك المحتاجين بقيام أصحاب الخير بالنفقة عليهم، لن تذهب أموالهم وجهدهم سدًا، بل أن كل ما أنفقوه ابتغاءً لمرضات خالقهم، سيعود عليهم بالخير الكثير، لأن كل ما أنفقوه ما هو إلا قرضٌ قدومه لخالقهم، وبمرضاته عنهم، سيكون الثواب عظيم قال تعالى:

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(١).

نزول المصائب على فئات من الناس:

المصائب تتعدد أشكالها، منها:

أناس يصابون بمصيبة المرض المستعصي علاجه كمرض السرطان، وآخرون يصابون بإفلاس شركاتهم، ومن الناس من يصاب بفقد أحد أعضائه، بكل الأحوال نزول المصائب على فئات من الناس.

تفسر على ضوء الدين الإسلامي بأنها ناتجة عن سببين.

السبب الأول: عقاب من رب العالمين للشخص المقصر في حق خالقه، أو المفسد المجرم في حق أبناء جلدته، هذا الشخص بسبب الحاقه الأذى بالضعفاء، أو المساكين، أو بأي إنسان قد يعجل له خالقه بالعقوبة في حياته ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وبنزول المصيبة عليه، وحلول الألم فيه، حينها يوجهه خالقه بقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ

(١) سنن أبي داود (ج ٢ ص ٧٠٤).

مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١].

وإذا ما استشعر المذنب أخطاءه، وندم على ما اقترف من جرائم، وأعاد الحقوق إلى أهلها إن كانت في ذمته شيئًا منها، بذلك يتوب الله عليه، ويغفر له زلاته قال رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١).

السبب الثاني: قد ينزل الله المصيبة، والألم في إنسان مستقيم صالح، وذلك بغية ابتلائه، وفتنته، ومن ثم إذا صبر يعلي رب العالمين من قدره، في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢]، وبحلول الفتنة بالشخص المستقيم الصالح سينظر خالقه لحاله، أيصبر، ويحتسب آلمه عنده ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

وبصبره، واحتساب آلامه لدى خالقه، سيعلي الله من درجاته في الدنيا(٢) ويدخله في نعيمه في الحياة الأبدية، وبكلا الحالتين أي شخص نزلت عليه المصيبة، حسب توجيهات الدين الإسلامي لتكن لسانه، ولسان حاله في حدود قول خالقه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦]، وليستشعر قول خالقه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

---

(١) سنن ابن ماجه (ج ٥ ص ٣٢٠).

(٢) العرف الشذي شرح سنن الترمذي لمحمد الكشميري (ج ٣ ص ٣٨٠).

مما سبق جديرٌ بالرغم أن المصيبة هي همٌ، وغمٌ، وآلامٌ ومع ذلك إلا أن لها فائدتان.

الفائدة الأولى: الشخص المتمادي بظلمه المجرم في حق أبناء جلدته، بعقابه على جرمه في الدنيا، قد يجعله العقاب يتوب لخالقه، ثم يصحح مسار حياته، وبتوبته سيعيد الحقوق لأهلها.

الفائدة الثانية: الشخص المبتلى ان كان مستقيمًا وصبر، واحتسب حاله لدى خالقه سيحظى بالدرجات العالة والمنزلة الرفيعة بجنة خالقه في الحياة الأبدية.

الفصل التاسع
المسوغات العقدية

إله واحد أم أرباب متفرقون:

بحسب العقلية البشرية أيها أفضل للبشر كافة أن يؤمنوا بإله واحد أم يكن لهم أكثر من إله؟ وبعيدًا عن التوجيهات الربانية العقل والمنطق يفضل أن يكون للبشر كافة إله واحد(١)، لا أكثر من إله، فتعدد الآلهة ينجم عنها أضرارٌ متعددة، فبالنسبة لتعددها وفيما بينها سيدخل الصراع، وذلك بتنافسها في إدارة الكون، وبدخول الآلهة في دوامة الصراع سيعلي بعضها على بعض ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١]، وسيفسد الكون، وذلك مصداقية قول رب العالمين: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢]، أما البشر فبتعدد آلهتهم، وبطبيعة الحياة، وتشابك المصالح، ستدخل فئات منهم بالصراعات والحروب، ومما سيفضي بكل إله إلى التدخل بنصر المؤمنين المعتقدين به، وبذلك ستدخل الآلهة وفي ما بينها بدوامة النزاع، فالحروب، ومن ثم تكون النتيجة الحتمية الفوضى العارمة بين البشر من جانب، وبين الآلهة من جانب آخر،

(١) للاستفادة انظر كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ج ١ ص ٩٠).

وبذلك ستفسد السموات والأرض ومما أسلفنا إله واحد لكل ما في السموات والأرض هو ما يفرضه العقل والمنطق، وبهذا المنطق خاطب نبي الله يوسف عليه السلام زملاءه في السجن، وذلك عندما دعاهم إلى الإيمان برب العالمين ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، فرب العالمين هو الإله الواحد، وهو الخالق لكافة السماوات والأرضين وما تحتويهما، وبيده ملكوت السموات والأرض، وهو الرازق والحافظ والمهيمن على كافة مخلوقاته، وبذلك لمصلحة كافة البشر أن يتعرفوا على خالقهم، وعلى دينه، وأن يفردوه بالعبادة والتوحيد.

الهدف من خلق عالم البشر والجان:

الهدف الأساس من خلق كافة عالمي البشر والجان يتمثل بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولا تقتصر عبادة الله على عالمي البشر، والجان فكل مخلوق وسواءً أكان في السموات السبع، أو الأرضين السبع يعبد الله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء:٤٤].

الإسلام يجبُّ ما قبله:

أي شخص لا يؤمن بدين رب العالمين، الدين الإسلامي، بجهله عن إرشادات وتوجيهات خالقه، قد يعيش حياته مجرمًا، في حق نفسه، وليس ذلك فحسب، بل هذا الشخص بدهائه، وتفننه في الجرائم، سيتمكن من إلحاق الضرر المادي، والنفسي، بأبناء مجتمعه، وباطلاعه لتعاليم دين رب العالمين، الدين الذي

ارتضاه لخلقه كافة سيفضي به إلى الإعجاب، ثم اعتناقه، فما مصير جرائمه البشعة؟ بكونه اعتنق دين خالقه، وابتداءً من إسلامه تصبح كافة جرائمه السابقة لإسلامه ومهما بلغ قبحها وجورها مغفورة له، وذلك لقول من لا ينطق عن الهوى رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ: «**الإسلام يجب ما قبله**»(١)، ومن ثم يصبح ممن قال فيهم خالقه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:٢-٣].

مدى سعة علم رب العالمين:

نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي وصل الإنسان بمجال الصناعة إلى درجة عظيمة، مثلًا في مجال التصنيع العسكري وصل علماء التصنيع إلى صناعة الدمار الشامل، عبر الأسلحة الكيميائية، والبيولوجية، والنووية، وفي الصناعات المدنية وصل الإنسان إلى صناعة الصواريخ والتي من خلالها يتم الخروج من نطاق الأرض والوصول إلى سطح القمر، وحاليًا تقام الدراسات لوصول الإنسان إلى كوكب المريخ، وما أكثر تقدم العلماء في تصنيع مختلف متطلبات جوانب الحياة، وإذا كان هذا المستوى الرفيع من التقدم العلمي للإنسان فكيف بخالقهم! وهنا وعبر دستور الأمة الإسلامية، المنهج الرباني ولتقريب النظر لفهم الإنسان لمدى سعة علم خالقه قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، وفي هذا الصدد إذا ما أخذنا أعلم أهل

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم (ج ٤ ص ١٩٨٧).

الأرض، ومهما كانت سعة علمه، هل يمكن أن يحتاج لنشر كل علمه ولو حتى بحيرة صغيرة من المداد[1]، قطعًا لن يصل إلى هذا الحد، وإذا لم يصل إلى هذا الحد فإن علم خالقه لا حدود له، وحتى البحر لو أمد بسبعة أبحر من المداد لن يكفي لنشر علم الله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧]، والحقيقة الساطعة سطوع الشمس أن علم رب السموات والأرض لا حدود له، ولا يمكن على الإطلاق أن يتخيله بشر قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:١٢].

تحريم ما أحله أو افترضه رب العالمين في ميزان الإسلام:

بما أن رب العالمين هو خالق البشر، والعالم بكل ما يصلح أحوالهم الجسدية والنفسية، وبما يلحق بهم الضرر ومن هنا عبر كتابه القرآن الكريم وعبر رسوله محمدٌ بن عبد الله ﷺ يسر لعباده كل ما يصلح أحوالهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وبذلك وعبر الدين الإسلامي كل ما حلله رب العالمين للبشر من الطيبات لا يجوز وبأي حال لأي بشر وفي أي زمان أو مكان أن يحرمه ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج ٣ ص ١٨٤).

ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢]، وكل من يقم بتحريم ما أحله الله يعد من المعتدين، والمعتدي على حدود خالقه لا يُعلم مدى عقوبته لدى خالقه إلا خالقه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة:٨٧].

الإيمان والعمل في ظل الإسلام:

الإيمان بالله أن تكون مؤمنًا بالله، وبكتبه، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره ومؤمنًا بكل أوامر خالقك ونواهيه، وأن يواكب إيمانك عملك الصالح، بمعنى:

أن تكن أعمالك كافة، وأقوالك، في إطار ما أمرك به خالقك(١)، وأما اذا كان عملك في ما حرمه عليك خالقك.

يصبح إيمانك لا جدوى منه، وتصبح خسران، خسران، وإن أنجزت كافة مصالحك الدنيوية؛ لأن الحياة الدنيا فانية والحياة الأخرى هي الباقية أبد الآبدين، ومما سبق يُفهم مغزى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣].

والإيمان في ظل الدين الإسلامي يزداد وينقص، فكلما ألزم الشخص نفسه إتيان أوامر خالقه، واجتناب نواهيه، وحارب رغبات نفسه الأمارة بالسوء،

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (ج ٢ ص ٧٢٠).

وشياطين الجن والإنس كلما زاد إيمانه، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وكلما أطلق الإنسان لنفسه العنان في الحصول على رغباته الدنيوية ولم يلزم نفسه اجتناب ما حرمه الله كلما تناقص إيمانه وتسبب في هلاك نفسه.

ما هي جهنم؟!

جهنم: هي النار المحرقة التي أعدها رب العالمين لكل من كفر به أو خالف أوامره خلال حياته في الحياة الدنيا ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج:٢٢].

وجهنم لها سبعة أبواب ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤].

وكل مستحقيها يدخلون من أبوابها ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩].

ولجهنم خزنة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩].

ولحرس جهنم رئيس يسمى مالك ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

تعلم السحر وممارسته بنظر الإسلام:

عبر الدستور الرباني المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية لمنتمي الديانة الإسلامية بين رب العالمين للأمم مصدر تعلم السحر، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢]، وبما أن مصدر تعلم السحر من قبل شياطين الجن فمن هنا لن يصدر من شياطين الجن إلا ما يلحق الضرر النفسي، أو الجسدي في صفوف متبعيهم(١)، وذلك لكونهم مبتعدين عن منهج خالقهم، وأما عباد الرحمن فرحمةً بهم خاطب خالقهم إبليس بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر:٤٢].

مما سبق كل من التزم بتوجيهات خالقه أصبح محصنًا من جميع شياطين الجن قال تعالى:﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٩]، وبما أن تعلم السحر لا خير فيه للمتعلم أو المجتمع المسلم وإنما سيلحق الضرر بالفرد، وبالمجتمع، ومن مغبة أضرار تعلمه حذر رب العالمين الراغبين بتعلمه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد الزرقاني (ج ٢ ص ٣١١).

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾ [البقرة:١٠٢].

ورحمة من رب العالمين بعباده حذر كل من يقدم على تعلمه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

الشرك الذي لا يُغفر:

أن يجعل الإنسان لرب العالمين ندًا، ويعتقد بأن هذا الند بإمكانه أن يتصرف بشؤون الكون كخلق المخلوقات، أو إماتتها، أو جلب المصالح للإنسان، أو دفع المصائب عنه، أو بإمكان الند التوسط للإنسان لدى رب العالمين في تحقيق مصلحة، أو دفع مظلمة، كما يعد الشرك بالله بصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، وكل من اعتقد ذلك يندرج في إطار قول رب العالمين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

هل الإنسان مخير في ممارسة أقواله وأفعاله:

منح رب العالمين الإنسان الحرية في ممارسة مختلف شؤون حياته، من أقوال، وأفعال فسلوكه بيده، وباستطاعته أن يمارس الأعمال الخيرية، فخلال حياته بإمكانه أن ينفق من أمواله على الفقراء، والمساكين باستطاعته أن يتصدق بجزء من أمواله على مرضى السرطان، أو غيرهم وبالمقابل باستطاعته أيضًا أن يمارس الأعمال الشريرة، كنفقة المال على الأعمال الظالمة الفاسدة، بإمكانه أن يتفنن بسرقة أموال الناس، وأن لا يترك وراءه أي أثر تدل على جريمته، وذلك بغية أن يتفادى

محاسبة سلطات الدولة له، بإمكانه أن يتطاول على المساكين من أبناء جلدته بلسانه، أو يده، ومع منح رب العالمين للإنسان الحرية في ممارسة أعماله بين له في دستور المسلمين المتمثل بالقرآن الكريم الطريق المستقيم، الذي إذا ما سلكه في حياته سيوصله إلى مرضات خالقه، ثم إدخاله في جنته، في الحياة الأبدية، وبالمقابل بين له الطريق المعوج، والذي إذا ما سلكه سيفضي به إلى غضب خالقه عليه(١)، في حياته، ومن ثم برحيله من الحياة الدنيا سيدخله في جحيمه، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

وبممارسته لأعمال الظلم بين له الإسلام أن في الحياة الأبدية سيكون مصيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٥].

فأي بشر خلال حياته له الحرية في اعتناق الدين الذي يناسب رغباته، وتوجهاته، ومصالحه فإذا أراد الدخول في الدين الإسلامي، أو أراد اعتناق الديانة اليهودية أو النصرانية أو أي ديانة له الحرية الكاملة في اعتناق ما يشاء، وذلك في حياته الدنيا قال رب العالمين: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، وبمنح رب العالمين الإنسان الحرية الكاملة في اعتناق ما يشاء من دين بين له في دستور الدين الإسلامي المنهج الرباني المتمثل بكتاب رب العالمين أن الدين المقبول لديه هو الإسلام ﴿إِنَّ

(١) الإسلام أصوله ومبادئه لمحمد السحيم (ج ١ ص ١٤٨).

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]. ومن يعتنق غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه، وسيعرض نفسه لعقاب خالقه في الحياة الأبدية، أي بعد رحيله من الحياة الدنيا ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ومن يعتنق الإسلام دينًا، ويعمل الأعمال الصالحة في حياته، ففي الحياة الأبدية سيحظى بنعيم رب العالمين ﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ [الطلاق:١١].

هل الإنسان مجبر في ممارسة أعماله:

خالق البشر له الحق الكامل في منح البشر أي حريات، وله الحق في سلب حرياتهم، وله الحق الكامل في رفعة الإنسان بالحياة الدنيا، أو إذلاله، ولا يُسئل عما يفعل، ولأن رب العالمين كرم البشر، وفضلهم على الكثير من خلقه، فقد منحهم الحرية في ممارسة سلوكياتهم في الحياة الدنيا، إلا أنه ولمصلحة البشر، ولحكمة يعلمها جعلهم مقيدون في بعض الجوانب، فمثلا الإنسان ليس بإمكانه أن يختار اسمه، أو يختار لبشرته اللون المحبب لنفسه، فقد يرغب بأن يكن صاحب بشرة بيضاء، لكن خالقه أراد له بشرة سوداء ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦].

كما أن الإنسان قد يسعى جاهدًا في أن يصبح ثريًا، لكنه رغم رغبته، وتوجه، وأخذه بالطريق التي تفضي به إلى أن يكون ثريًا، لن يصبح ثريًا، لأن مشيئته

مرتبطة بمشيئة خالقه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وبالرغم من جبر الإنسان على أشياء لا يرغب بها إلا أن خالقه منحه الحرية، وبحيث يمارس ما يشاء من أعمال خيّرة، أو أعمال شريرة، وبمقابل أعماله سواءً أكانت الأعمال الخيرية أو الشريرة سيكون جزاؤه من جنس عمله، ومع كل عمل يقوم به هو محاسب عليه، فإن كان خيرًا سيحصد الحسنات، وإن كان سيئا سيحمل أوزاره، ولن ينجيه من عذاب خالقه إلا أن يتغمده برحمته وذلك في الحياة الأبدية، بعد رحيلة من الحياة الدنيا ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]،

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

هل كل أعمال البشر وكل شيء بإرادة رب العالمين:

لا بدّ أن نفرق بين قدرة الله المطلقة بهداية البشر، أو إغوائهم، وبين المشيئة الإلهية، وسننه في خلقه(١)، فقدرته تعالى مطلقة في هداية البشر كافة، أو إغوائهم، لكن مشيئته في تسيير كونه اقتضت في منح البشر الحرية في ممارسة أعمالهم، وإن كانت فاسدة، وبممارسة الأعمال الإجرامية، الأعمال الفاسدة، هذه الجرائم لا يرتضيها الله، مع أنها عملت بعلمه، ولأن الانسان محاسب في كل أعماله، فعدالة الله المطلقة في الحياة الأبدية ستنصب الموازين للمحاكمة حتى لا يتساوى

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده (ج ١ ص ٩٠).

أصحاب الأعمال الإجرامية، مع أصحاب الأعمال الصالحة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وبعدالة رب العالمين المطلقة وسننه في خلقه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٣].

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، ولن تكن الظلالة، والأعمال الإجرامية إلا على الفاسقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، وبما أن القرآن من قبل رب السموات، والأرض وهو العليم والخبير بما يصلح أحوال خلقه، أو يفسدهم بين لهم التوجه المفضي إلى الصراط المستقيم، بذلك كل ما يلتبس على معتنق الدين الإسلامي، وفي أي قضية من القضايا عليه أن يرجع إلى هداية خالقه، وبتدبره في آيات خالقه، أي آيات القرآن الكريم، سيشرح الله صدره، كون القرآن نورٌ، وهداية، وبكل الأحوال لا يمكن لعالم البشر أو الجان أن يأتوا بمثله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، ومهما كانت عقلية الإنسان كبيرة، وذكية فإن الحقيقة الساطعة كسطوع الشمس.

أن عقل الإنسان سيظل قاصرًا في فهم معنى بعض آيات القرآن الكريم وعلى الأخص الآيات المتشابهات، وستظل هذه الآيات متحدية للعقل البشري، ومهما وصل به العلم لن يدرك معناها، وكل من وصل إلى درجة الراسخين في العلم بوقوفه على هذه الآيات، وعجزه عن فهمها، وإدراكها، لن يكن منه إلا أن يقول بأنها من عند خالقه، ومن ثم ما أمامه إلا الإيمان بها، بينما سيقع أناس في زلل، وذلك عند قيامهم بتأويلها، وآخرون من الناس بعدم فهمهم لها أثناء تتبعهم لها ابتغاء الفتنة سيوصلون بحالهم إلى معصية خالقهم، ومن ثم استحقاق عذابه لهم، ما بيناه ذكره رب العالمين بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]، وبغض النظر عن الآيات المتشابهات فإن الآيات المحكمات كفيلة برسم الخطى الواضحة، والمفضية إلى صلاح البشر، في الحياة الدنيا، ومن ثم استحقاقهم للنعيم الدائم في الحياة الأبدية.

الباب الثاني
أركان الإسلام والإيمان

أولاً: أركان الإسلام.

١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٢) إقام الصلاة.

٣) إيتاء الزكاة.

٤) صوم رمضان.

٥) حج البيت من استطاع إله سبيلا.

الركن الأول من أركان الإسلام:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

إذا ما نطق شخص لا يدين بالدين الإسلامي بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بنية الدخول في الإسلام، أو آمن بها في قلبه، وإن لم يلفظ بها بلسانه يصبح مسلمًا، وهنا هذا الشخص بمجرد دخوله بالدين الإسلامي يصبح له من الحقوق ما للمسلمين، وعليه من الواجبات ما عليهم.

الركن الثاني من أركان الإسلام: الصلاة.

كلف رب العالمين معتنقي الإسلام بتأدية خمس صلوات صلاة الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء، وهذه الصلوات سهلة، بسيطة، لا تأخذ من الإنسان وقتًا طويلًا، فخلال دقائق يمكن تأديتها، وقبل أن يقوم المسلم بعبادة الصلاة عليه أن يقوم بالوضوء(١)، والوضوء يتمثل بقول رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦]، وبعد الوضوء وقبل شروق الشمس يصلي المسلم لخالقه ركعتين، فيها يخاطب خالقه، يسأله من فضله، ويتعوذ من عقابه، وفي وسط النهار يصلي لخالقه أربع ركعات، ومع أن يصبح ظل أي شيء أطول منه يصلي لخالقه أربع ركعات، ثم بعد غياب الشمس يصلي ثلاث ركعات، وفي أول الليل يصلي اربع ركعات، هذه الصلوات المفروضة على المسلمين، يؤدونها خلال الأربعة والعشرين ساعة، بكل الأحوال هي يسيرة، ولا تأخذ من مؤديها إلا نصف ساعة(٢).

---

(١) فتح الباري ج٦ (ص ٣٤٣).

(٢) للاستفادة النظر فتح الباري لابن حجر (ج ٢ ص ٢٧٩).

الركن الثالث من أركان الإسلام: الزكاة.

رحمةً من رب العالمين بالفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل والذين لا حيلة لهم في إطعام أنفسهم، فرض رب العالمين على الميسورين من المسلمين الزكاة، فإذا ما صرف انسان المال على نفسه، وعلى أسرته، ومن يعولهم لسنة وبقى فاضل من المال لا يحتاجه، هذه الزيادة وجب على الشخص أن يخرج منها اثنين ونصف في المئة زكاة، تسلم للدولة، والدولة تعيد توزيعها على الفقراء والمساكين، هذه النسبة هي لا تشكل عبئًا على الشخص، كونها مبلغ بسيط، ولا تؤثر على مدخراته، لكن هذا المبلغ من هذا الشخص ومن غيره إذا ما تم تسليمه لسلطات الدولة فسيصبح مبلغًا كبيرًا، يمكن أن يكفي إحتياجات كل فقراء الدولة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠]، وايتاء الزكاة مفروضة على الرجال والنساء، وبما فيهم آل بيت رسول الله ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وإضافةً إلى زكاة المال فُرض على معتنقي الإسلام زكاة الثمار، من المحاصيل الزراعية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١]، ومن الزكاة المفروضة على المسلمين زكاة الأبقار، والأغنام، والماعز، والإبل وغيرها من عموم المال الفائض عن إحتياجات الإنسان.

الركن الرابع من أركان الإسلام: صوم رمضان.

استحقاقًا لله بالعبادة ورحمة منه بفقراء الناس، وبغيةً بتربية المتمين للدين لإسلامي، وعلى الأخص الميسورين بالمال، على فضائل الأعمال، ومنها التكافل الاجتماعي، وبقصد استشعار الميسورين بجوع المساكين والفقراء، من هذه الأسباب وغيرها فرض رب العالمين على المسلمين صيام شهر رمضان(١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٥]، ويتم الصيام بالإمساك عن الطعام، والشراب، وفضول الكلام، وإتيان النساء، ابتداءً من طلوع الفجر، في أول النهار، وإلى غروب الشمس، مع أول الليل، قال رسول الله: «**الصيام جنة فلا يرفث، ولا يجهل وإن امرؤ قاتله، أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه، وشرابه، وشهوته**

(١) الأحكام لابن حزم (ج ٤ ص ٤٦٦).

من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها»[1]، وبقيام الميسورين بالصيام، وتحملهم لألم الجوع بذلك سيأخذون درسًا عمليًا عن جوع الفقراء والمساكين، ومن معاناتهم للجوع، واستشعارهم بجوع المساكين، سيقدمون إلى بذل أموالهم عن سخاء وطيبة نفس، وذلك في إشباع الفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل، هذا من جانب، من جانب آخر ما سيعزز ببذل أموالهم، بأنهم يدركون أن ما سينفقوه، أو سيتصدقوا به لن يضيع، لأن خالقهم تعهد بأن يعود عليهم بالخير الكثير، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

الركن الخامس من أركان الإسلام: الحج.

فرض رب العالمين على المسلمين أداء فريضة الحج، ولأن أداء فريضة الحج تتطلب تكلفة السفر، والمأكل، والمشرب، والمسكن لأيام، يسر الدين الإسلامي أداء فريضة الحج على المنتمين للدين الإسلامي، فأداء فريضة الحج مشروطة بالاستطاعة، ومن لا يستطع ليس عليه جناح من عدم أداء هذه الفريضة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، وبقيام المسلمين بأداء فريضة الحج للمسلمين، ولغير معتنقي الدين الإسلامي بأن يلاحظوا الدروس التي يتعلمها الحجاج أثناء قيامهم بالحج، ففي مكة المكرمة وأثناء قيام الناس بالحج، هناك الكل يلبس ثيابًا واحدة،

(١) صحيح البخاري حسب ترقيم فتح الباري (ج ٣ ص ٣١).

فالحاكم، والمحكوم، والغني، والفقير، والرئيس، والمرؤوس، وكل طبقات المجتمع في تلك البقعة المقدسة بلبسهم ثياب واحد تذوب أو تتقلص بعض الصفات السيئة، كالتعالي، والتكبر عند الأغنياء ووجهاء القوم على من ذويهم، وهناك لا قيمة للطبقات الاجتماعية، فالكل يجلسون مع بعض، ويمشون مع بعض جنبًا إلى جنب، وذلك خلال تأدية مناسك الحج، ولا يتعالى الحاكم، ولا الغني، ولا الشريف، والا أحد على أحد، فالكل اخوة، والكل متراحمون، والكل يبغي رضا الخالق، وبأخذ الحجاج الدروس أثناء تأديتهم لمناسك الحج، إضافة إلى ذلك يتحصلون على الثواب من خالقهم، قال رسول الله: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

أركان الإيمان:

١) الإيمان بالله.

٢) الإيمان بالملائكة.

٣) الإيمان بالكتب السماوية.

٤) الإيمان برسل الله.

٥) الإيمان باليوم الآخر.

٦) الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (ج ٥ ص ٢٦١).

الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله.

هو الاعتقاد بالله ربًا واحدًا لا ند له، ولا شريك له، وأنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، وأنه ليس كمثله شيء.

ويكون الإيمان بالله باللسان والقلب، وتصديقه يكون بالعمل. والإيمان بالله يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالأعمال الإجرامية، ويقتضي الإيمان بالله الإيمان بربوبيته، وأسمائه وصفاته، وإلهيته، وأسماء الله التي وردت في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله محمد بن عبد الله تسعة وتسعين اسمًا «**الله، الأحد، الأعلى، الأكرم، الإله، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، البارئ، البر، البصير، التواب، الجبار، الحافظ، الحسيب، الحفيظ، الحفي، الحق، المبين، الحكيم، الحليم، الحميد، الحي، القيوم، الخبير، الخالق، الخلاق، الرؤوف، الرحمن، الرحيم، الرزاق، الرقيب، السلام، السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد، الصمد، العالم، العزيز، العظيم، العفو، العليم، العلي، الغفار، الغفور، الغني، الفتاح، القادر، القاهر، القدوس، القدير، القريب، القوي، القهار، الكبير، الكريم، اللطيف، المؤمن، المتعالي، المتكبر، المتين، المجيب، المجيد، المحيط، المصور، المقتدر، المقيت، الملك، المليك، المولى، المهيمن، النصير، الواحد، الوارث، الواسع، الودود، الوكيل، الولي، الوهاب**»(١).

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين).

الإيمان بصفات رب العالمين:

رب العالمين في آيات القرآن الكريم المنزلة على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ خاطب البشر بكلمات، وأسماء، وأوصاف تخصه، ومنها ما تخص مخلوقاته، وبحيث تكون تلك الكلمات، والأسماء، والأوصاف من قاموس الألفاظ، والكلمات المتعارف عليها لدى البشر، كل ذلك بغية فهمها واستيعابها ومن ثم من خلالها يتحقق إصلاح فساد البشر، وإعادتهم إلى المنهج الرباني، والذي من خلاله يعلي من قدرهم في حياتهم الدنيا، وفي الحياة الأبدية، وذلك إذا ما عادوا إلى بارئهم، من تلك الكلمات، والأسماء، والأوصاف الخاصة برب العالمين.

أن لله يدين، وله وجه، وأنه يسمع ويرى، ويعلم، ويرحم، وينفق، ويمسك، ومستوي على العرش هذه الأوصاف وعلى سبيل المثال لا الحصر جاءت لتعرف الناس ببعض ما يخص خالقهم، وبغيةً لمعالجة مشاكل البشر النفسية، والمادية، الناجمة من ظروف الحياة وتعقيداتها الناشئة من أعداء البشرية، ومن تلك الصفات الواردة في آيات القرآن الكريم أن رب العالمين كما أسلفنا يسمع، ويرى، وحتى يفهم المغزى منها.

بتوجيه رب العالمين أمره لنبيه موسى، وأخيه عليهما السلام في التوجه إلى الملك المصري فرعون، بغية دعوته لاعتناق دين خالقه، ونتيجة لإمكانية بطش فرعون بنبي الله موسى، وأخيه أعربا الأخوان لخالقهما عن الخوف الذي يساورهما، وذلك من امكانية أن يبطش فرعون بهما، فكان رد رب العالمين لهما باللغة، والكلمات التي يفهموها بقوله : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦].

وهنا بإدراكهما أن رب العالمين معهما، يسمع، ويرى كان لتلك الكلمات العلاج الشافي، وذلك في كسر الخوف الذي انتاب قلبيهما.

الشاهد أن رب العالمين في معالجته لتخوفات نبيه موسى وأخيه أثبت لنفسه بأنه خاطبهما باللغة التي يفهموها، بأنه معهما يسمع، ويرى، وقطعًا صفة سمع الله ليست كسمع مخلوقاته، فليس كمثله شيءٌ، فالإنسان سمعه محدود، فإذا ما وُجد عشرة أشخاص في مجلس، وتحدثوا العشرة في نفس اللحظة، فلا يمكن لأي شخص أن يسمع، ويفهم كلمات العشرة، هذا اذا كانوا بلغة واحدة، فكيف إذا تحدث كل منهم بلغة مغايرة، ولله المثل الأعلى، وبنفس المقياس مشاهدة ورؤية رب العالمين للمجلس الذي سيحوي نبيه وفرعون وملاءه ليس كرؤية ونظر البشر، فليس كمثله شيٌ، وصفاته تليق بذاته، وبمقامه، ولا يمكن تمثيلها، أو تعطيلها، أو قياسها بالمقاييس البشرية، فرؤية البشر بأحسن الأحوال لا تتعدى الكيلو مترات، وتعجز أن ترى الأشياء اذا حال بينها وبين الهدف حائل، وحتى إن كانت باستطاعتها تتعدى تلك الحواجز مع أنه محال إلا أن رب العالمين ليس كمثله شيءٌ، ومن أوصاف الذات الإلهية ما ذكره رب العالمين بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، وذلك عندما قال اليهود يد الله مغلولة، وأولئك رد عليهم خالقهم، وبحسب لغتهم، ومفاهيمهم بقوله: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة:٦٤]، الشاهد أن اليهود اتهموا خالقهم بأن يده مغلولة، فرد عليهم بأن يديه مبسوطتان، وبما أن سياق الألفاظ جاءت في سياق الإنفاق، والإمساك، ولأن رب العالمين ليس كمثله شيءٌ، ومع ذلك ينبغي الإيمان بما نسبه الله لنفسه، دون تعطيل، أو تشبيه، وبهذا الصدد وفي ما يخص القرآن

الكريم، يقول رب العالمين فيه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، فهل للقرآن الكريم أيدي، قطعًا لا، كما يقول رب العالمين في ما يخصه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، فهل تعني هذه الآية آن لله وجهًا، لا تعني ذلك وإنما يقصد بوجه الله الله. خلاصة ما أوردنا أن كل ما أثبته رب العالمين على نفسه، من صفات، وأوصاف، ينبغي على كل مسلم الإيمان بها، وبلا تكييف، أو تشبيه، أو تعطيل، وفي كل الأحوال يضع كل مسلم في مخيلته قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ويقتضي الإيمان بالله.

الصبر على طاعة الله.

الصبر على أقدار الله.

الركن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة.

الملائكة خلق من مخلوقات رب العالمين، وهي أرواح نورانية، باستطاعتها أن تتشكل في أي شكل كشيء ملموس، محسوس، وهم لا يتزاوجون، ولا يتناسلون، ولا يأكلون، ولا يشربون، قال تعالى مخبرًا عن النقاش الذي دار بين الملائكة الذين أرسلوا إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠]، والملائكة لا يُرون بالعين المجردة، أو بأي جهاز مهما كانت تقنياته مرتفعة، إنما إذا أردوا أن يظهروا للإنسان باستطاعتهم الظهور ومحادثته، ومن الملائكة الذين ظهروا

بصورة إنسان الملك الذي التقى بمريم العذراء[1]، ومجمل النقاش الذي دار بينهما يتمثل في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:١٧-٢١].

ومنهم الملائكة الذين نزلوا ضيوفًا على نبي الله إبراهيم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات:٢٤-٣٤].

وللملائكة أسماء كجبريل، وميكال، ومالك قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

---

(١) شرح أصول أهل السنة لهبة الله اللالكائي (ج ٣ ص ٥٦١).

كما أن للملائكة أجنحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

ولهم حرية الحوار مع خالقهم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

ومقر الملائكة في السماء، وينزلوا إلى الأرض بأمر خالقهم ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤].

وللملائكة مقام معلوم في السموات ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات:١٦٤].

من البشر من يصل إلى أعلى من دركة الملائكة قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣١-٣٣].

والملائكة رسل الله إلى من يصطفيهم من الأنبياء، والرسل ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٧٥]، ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧].

والملائكة يتميزون في بعض الجوانب عن البشر، وخلقهم رب العالمين لتأدية وظائف عديدة، منها عبادة رب العالمين، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

وبعبادتهم لرب العالمين يتميزون على البشر في جانب العبادة بأنهم لا يكلون، ولا يملون، من عبادة خالقهم، ولا يعصون خالقهم، ويفعلون ما يؤمرون ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

حملة لعرش الرحمن ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧].

منهم موكلون برصد كل كلمات بني آدم، وأعمالهم ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨].

يثبتوا المؤمنين أثناء القتال ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال:١٢].

منهم حفظة لبني آدم(١)، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد:١١].

يثبتون الذين آمنوا بالحياة الدنيا ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال:١٢].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج ١ ص ٦٠٦).

يسبحون، ويستغفرون للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر:٧-٩].

موكلون بقبض أرواح البشر ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة:١١]، ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل:٢٨].

يبشرون المؤمنون برحمة خالقهم أثناء الموت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

رسل العذاب للمتوفين من غير المؤمنين ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٧].

يسوقون المؤمنون إلى الجنة ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

يسوقون أهل النار إليها ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

موكلون بتعذيب أهل النار ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

عالم الجان:

الجن أرواح خفية، خلقوا من نار ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٥]، وهؤلاء مع أن الله خلقهم من نار لكنهم لا يحرقون أحدًا، بالرغم أنهم يتنقلون في مختلف أجزاء جسم الإنسان، ومثلهم في الخلق كمثل خلق الإنسان، كان أول خلقه أي أبو البشرية آدم عليه السلام من تراب، لكن الله حول جسده من تراب إلى لحم، وعظم، وجلد، وكذلك الصناعات البشرية تحول المادة من خام إلى مادة جديدة مصنعة، ولله المثل الأعلى في طريقة صنعه لخلقه، فمثلًا صوت الهاتف عبر تقنيات الصناعة أثناء الاتصال وانتقال الصوت من الجهاز المتصل إلى الجهاز المتصل به، يتحول الصوت من صوت إلى موجات كهروا مغناطيسية، وباستقبال الصوت من الجهاز الآخر تتحول الموجات إلى صوت، وإذا كان هذا العلم من علم البشر فكيف بخالق البشر، ثم إن حال الجن كحال الملائكة لا يرون بالعين المجردة، وإنما إذا ارادوا أن يظهروا للبشر بإمكانهم التمثل لهم كجسد محسوس، وهم يختلفون عن الملائكة بكونهم يتناسلون، ولهم ذريات، والكافرين بخالقهم، أو بشريعته، من عالم الجان يُسمو شياطين، وهؤلاء بكفرهم بخالقهم، في الحياة الأبدية سيعذبهم خالقهم بالنار، مثلهم مثل البشر العاصين، ومن الحقائق الخاصة

بعالم الأرواح الخفية من الجن ما ذكره رب العالمين في القرآن الكريم، بأن الجن خلقوا من نار السموم، وكان خلقهم قبل خلق الانسان، ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر:٢٧].

أنّ الجن مثلهم مثل البشر خلقوا لعبادة خالقهم ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

والجن حالهم كالبشر منهم الصالحون، ومنهم الفاسدون ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن:١٤].

إن الكافرين من الجن سيعذبون في الحياة الأبدية، كالبشر ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

إنّ مرتبة المؤمنين من البشر ترقى إلى أعلى من درجة الملائكة، والجن، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤].

إنّ أول من تكبر من عالم الجان واستخدم كلمة أنا خير منه هو ابليس ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢].

إن الجن أول من عصى خالقهم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:٥٠].

إن إبليس أول من عاقبه خالقه بسبب المعصية، بإخراجه من الجنة ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٣].

إنّ إبليس تعهد لخالقه بأن يفسد آدم، وذريته، اذا ما جعله من المنظرين ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤-١٧].

إنّ رب العالمين أبدى بأنه سيعذب إبليس، وكل من يتبعه من بني آدم ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف:١٨].

إن رب العالمين حذر آدم ونسله من إبليس، ونسله ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦]، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠].

إنّ أول من أغواه إبليس وجعله يعصي خالقه أبا البشرية آدم، عليه السلام ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف:١٩-٢٢].

إنّ الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بخالقهم ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧].

إنّ عمل الشياطين في إفساد البشر يقتصر على الوسوسة، في الدعوة إلى ارتكاب المعاصي ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم:٢٢].

إنّ كيد الشيطان تجاه المؤمنون كان ضعيفا ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

إن من بني آدم من يتحكم بالجن، ويعملون له بعض المنافع. كتحكم نبي الله سليمان عليه السلام بعالم الجان ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

إنّ عالم الجان كعالم الإنس ليس باستطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨].

إنّ الجن لا يعلمون الغيب بموت نبي الله سليمان عليه السلام وهو متكأ على العصا وفئات من الجن يقومن ببعض الأعمال الشاقة، لنبي الله سليمان حسب أمره، وبعدم معرفتهم بوقت موته، ومواصلتهم للأعمال الشاقة، في تلك اللحظات أي بأكل دابة الأرض لعصى نبي الله سليمان، ومن ثم سقوطه إلى الأرض ميتًا، حينها ادرك أولئك الجآن بأنه قد توفي، فما كان منهم إلا أن توقفوا عن تنفيذ الأعمال التي كلفوا بها ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ

ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ:١٤].

إنّ الشيطان يزين للغاوين ارتكاب المعاصي ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:٦٣].

أنّ الشياطين يوحون إلى العصاة ليجادلوا المؤمنين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

إنّ وعود الشياطين للغاوين ما هي إلا غرورٌ ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء:٦٤].

إنّ إبليس يشارك متّبعيه، من عالم البشر، بإفساد المال، والأولاد ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء:٦٤].

إن إفساد الشياطين لا يطول الصالحين من البشر ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:٦٥].

إنّ الشياطين يلحقوا الضرر الجسدي، والنفسي في فئات من متبعيهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة:٢٧٥].

إن الشياطين يلحقوا الضرر بالمقصرين من المتقين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١].

إنّ رب العالمين أمر عباده بالتعوذ من وسوسة الشيطان ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦].

الركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب السماوية.

دستور معتنقي الدين الإسلامي، أي الدستور الرباني المتمثل بالقرآن الكريم، وسنة رسوله، بين لمعتنقيه، وللباحثين عن دين خالقهم بأن رب العالمين أرسل رسله للناس بغية أن يدعوهم لاعتناق دينه، ومن الرسل من أنزل معهم كتبٌ سماوية، ومن أبرز الكتب السماوية التي وردت في القرآن الكريم.

صحف إبراهيم(١):

وهذه الصحف أنزلت على نبي الله وخليله إبراهيم، عليه السلام، ومما ورد في القرآن الكريم عن صحف نبي الله إبراهيم ما قاله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٩].

التوراة:

وهذا الكتاب المقدس أنزله رب العالمين على نبيه موسى عليه السلام، وهذا الكتاب المقدس كما ذُكر في آيات القرآن الكريم تناول نبي الله موسى عليه السلام، وبني إسرائيل، بجانب كبير من التفصيل، ولعلّ أهم ما ذكره عن التوراة

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ج ١ ص ٥٦٨).

إضافة لتعريف الناس بدين خالقهم، وواجباتهم تجاه خالقهم، وتجاه أبناء جلدتهم أنها أي التوراة تهيئ صاحبها لأن يكون حاكمًا، على الناس ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

ومن الآيات القرآنية الخاصة بإثبات ما أسلفنا قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٤٣].

زبور داود عليه السلام:

وهذا الكتاب المقدس أنزله رب العالمين على نبيه داوود عليه السلام، ومما ورد في القرآن الكريم عن زبور داوود قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

الإنجيل:

وهذا الكتاب أنزله رب العالمين على نبيه عيسى عليه السلام، ومما ورد في آيات القرآن الكريم عن كتاب الله الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١١٠].

القرآن الكريم:

وهذا الكتاب أنزله رب العالمين على نبي الله ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ، ولأنه ﷺ آخر الأنبياء والرسل أنزل معه القرآن الكريم وجعله مصدقًا بالكتب السماوية، ومهيمنًا عليها ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧]، وبذلك من أركان الإيمان أن يؤمن كل مسلم بالكتب المنزلة على رسل الله، وأنبيائه.

الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان بالرسل والأنبياء.

بما أن الهدف من خلق البشر هي عبادة الله، ولأن الإنسان لا يعرف الهدف من خلقه، وكيفية عبادة خالقه، وما يرضي خالقه، أو يغضبه ولديه أعداءٌ ابتداءً من نفسه الأمارة بالسوء، وشياطين الجن، وشياطين الإنس، والذين يسعون جاهدين في إفساده، ومن ثم يتحقق غضب خالقه عليه، واستحقاق عذابه، بجهل الإنسان لما أسلفنا كان لرب العالمين بأن أرسل للناس رُسلًا وأنبياءً من أبناء جلدتهم(١) يبينون لهم ما سبق، ويرغبوهم بجنة خالقهم، إذا ما أطاعوه، وإذا ما خالفوه، يحذرونهم من جحيمه، ومن الحقائق في رسل الله وأنبيائه من بني آدم ما ذكره تعالى في القرآن الكريم.

إنّ رب العالمين يصطفي رسله المكلفين بنشر دين خالقهم، وذلك من بين البشر، وأن عمل الأنبياء والرسل يقتصر في إطار قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وما على الرسل إلا تبليغ دين خالقهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥]، وأما هداية الناس إلى دين رب العالمين، فبيد خالقهم، وهو المتكفل بها ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ

(١) البحر المحيط لمحمد بن بهادر (ج ١ ص ١٠٧).

جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الرعد:٣١]، وبتبليغ الرسل لدين خالقهم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس:١٠٨].

الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر.

كل البشر يؤمنون بحياة الإنسان على الأرض، ويؤمنوا بأن الإنسان مهما طال عمره أو قصر سيموت، وبإجماع كل البشر على حقيقة الحياة الدنيا هناك من البشر من لا يصدقون بأن الإنسان بعد موته سينتقل لحياة أخرى، ومنهم من يجهل بشأن الحياة الأخرى، وبحسب اعتقادهم إذا ما افترض بأنه لا وجود للحياة الأخرى، وإنما هي الحياة الدنيا وحسب، فللمنكرين أن يتخيلوا رجلًا يقضي حياته في سرقة أموال الناس، و قتلهم، أو البطش والتنكيل بالضعفاء، والمساكين، وبنجاة هذا الشخص من سلطات الدولة كونه لا يترك وراءه أدلة تدينه، أو لكونه صاحب السلطة، وسواءً أكان ملكًا لدولة، أو رئيسًا لها، أو قاضيًا، أو مديرًا لأي شركة، أو شخصًا عاديًا، وبغض النظر عمن يكن ذلك المجرم، بظلمه للناس، وسرقة أموالهم، وسفك دمائهم، فهل يقبل من ألحق بهم الضرر أن لا تطاله عدالة الدولة؟

أو عدالة خالقه، وبعدم قبول نجاة ذاك المجرم من الحساب، والمطالبة بعقابه فإن نجا من عقاب الدنيا، المظلومون يعلقون الآمال على أن تطاله عدالة خالقهم في الحياة الأبدية، ومن هنا يرتاح قلوبهم، وبحسب الدين الإسلامي بين للبشر أن

الحياة الدنيا ما هي إلا فترة زمنية معلومة، وإن طال عمر الإنسان فيها فلن يعيش أي بشر فيها أبد الآبدين، فهو منها راحل، ولينتقل إلا الحياة الأبدية، وهناك سيرى بعينيه أن كل ما نطقت به لسانه، أو قام به في الحياة الدنيا من أعمال صالحة، أو جرائم فاسدة مسجلة عليه، وهناك سيحاسبه خالقه على كل أعماله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، والجزاء حينها من جنس عمله.

الموت:

الموت مفارقة الروح للجسد، بمعنى مفارقة الإنسان للحياة، كل البشر يدركون هذا المعنى، لكن الكثير يتساءل لما كل البشر يموتون؟

قبل مائة وخمسين عامًا لم نخلق، وبعد مائة وخمسون عامًا(١) سنموت، وسيموت كل إنسان معاصر لنا على الأرض، وسيلد غيرهم من البشر وهكذا إلى أن يشاء الله، وكما أسلفنا بتناسل البشر يأتي غيرهم لعيشوا فترة من الزمن، ثم يموتوا وهكذا دواليك أناس يولدون ثم يموتون، ويظل التساؤل ما المعنى من حياة الإنسان وموته؟

وهنا يجيب رب العالمين بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:١-٢]، فصاحب العمل الصالح، المؤمن بخالقه، المتفاني في خدمة أبناء جلدته، بوفاته وانتقاله إلى الحياة الأبدية سيعطيه خالقه من نعيمه حتى يرضى ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

(١) على فرض أن من البشر من يعمره خالقه إلى مائة وخمسون عامًا).

﴿ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر:٤٠]، بالمقابل الشخص الفاسق، العاصي لخالقه، المجرم في حق أبناء جلدته، بوفاته سيحاسبه خالقه على كل جرائمه، ثم يكون بعد ذلك مصيره المحتوم في جحيم خالقه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن:١٠].

هل أثناء الموت يشعر الميت بالآلام؟

ما أسلفنا بأن كل البشر مؤمنون بأنهم سيموتون فهل خلال مفارقة الروح للجسد يشعر الإنسان بالألم؟

عبر دستور الإسلام، أي المنهج الرباني، يخبر رب العالمين معتنقي الإسلام بقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩]، والسكرة هنا يقصد بها غمرة الموت، وشدته للجسد وبهذا الصدد ورد عن رسول الله ﷺ أثناء موته قوله «**اللهم أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ**»(١).

والروح التي تفارق الجسد خلال المفارقة تصل الحلقوم ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣]، وبوصول النفس إلى الحلقوم أثناء موت الشخص وأقاربه بجواره يراقبون ساعة موت قريبهم، وبعجزهم عن إنقاذ قريبهم من مفارقته

(١)

للحياة، يخبر رب العالمين أن مصير هذا الشخص وكل إنسان في الحياة الأبدية بقوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨-٨٩]، وأما إن كان من المكذبين بدين خالقهم فمصيره في الحياة الأبدية ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الواقعة:٩٢-٩٤]، وقبل مصير أي إنسان المحتوم في الحياة الأبدية بموت الإنسان، ومفارقة الروح للجسد، ودفن الجسد بالتراب، أو إحراقه بالنار، أو أكله من قبل أي حيوان مفترس، بمجرد مفارقة الروح للجسد وسواءً انتقلت الروح إلى بارئها، أو بقت في مكان بقاء الجسد يظل الإنسان على حالته، في موضع دفنه وإن تحلل جسده وإلى أن يبعث الله من في القبور، وحينها يحيا الإنسان بجسده وروحه، وذلك بقيام القيامة.

دابة تكلم البشر:

ببعث رب العالمين الرسل والكتب السماوية بغية تعريف البشر بدين خالقهم، وبسلوك الطريق السوي، المستقيم في حياتهم، والمفضي إلى مرضات خالقهم، ومن ثم تفضله عليهم بنعيمه في الحياة الأبدية، بذلك كل من وصلت إليه رسالة ربه يصبح معرضًا لمسآلة خالقه، فبديمومة إعراض الناس عن دين خالقهم، وغيهم، وإفسادهم بالأرض، بقرب انتهاء الحياة الدنيا، وإقبال الحياة الأخرى يبعث الله لأولئك المكذبين الفاسقين دابة تكلمهم(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (ج ١ ص ٩٧٨).

النفخ في الصور:

بانتهاء الحياة الدنيا، وابتداء الحياة الأبدية، وخلال ممارسة البشر لأعمالهم، وحيث ما كانوا وفجأة إذا بهم يسمعون نفخة الصور، وبسماعه يدب الخوف الشديد في قلوبهم، إلا من شاء الله ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧].

ثم من شدة الفزع، في قلوبهم، جميعهم وبلا استثناء يموتون، ثم ينفخ في الصور مرةً أخرى، فتعاد الحياة للبشر كافة، وذلك ابتداءً من أبي البشرية آدم عليه السلام وانتهاءً بالبشر المعاصرين للنفخة الأولى، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

البعث من القبور:

بعد قضاء البشر في قبورهم إلى يوم البعث، يبعثهم الله من القبور[١] ويبعثون على الحالة النفسية التي قبضت بها أرواحهم، فما حال المجرمين أثناء بعثهم من قبورهم؟

مع أن بعضهم قد تكن مدة لبثه في قبره تزيد عن آلاف السنين، ببعثهم يتخيلون أنهم ما لبثوا غير ساعة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٨١).

سَاعَةٌ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥]، وقد يكون سبب قسمهم أنهم ما لبثوا في قبورهم سوى ساعة، أنه ببعثهم، وإعادتهم للحياة، بغية محاسبتهم عن جرائمهم كافة، المرتكبة خلال حياتهم، لهول ما قد يلاقوه من حساب، ثم العقاب، تتلاشى من مخيلتهم كافة السنين التي قضوها في قبورهم، وليقسموا أنهم ما لبثوا سوى ساعة.

الساعة - القيامة وحوادثها:

من الحوادث المفزعة، المرعبة، أثناء قيام القيامة، حال الجبال، إذا ما نظرت لجبل يصل طوله إلى عشرات الكيلو مترات، وإرتفاعه يزيد عن الخمسة الآف متر، من سطح البحر، هذه الكتلة الصخرية، بقيام القيامة بأمر خالقها تفتت، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:٥].

ولا يصل الحال بها الى التفتيت فحسب بل يصير حالها كما أخبر رب العالمين بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]، وتصبح كالصوف المندوف ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥].

وأما السماء وبما تحويها من كواكب، ومجرات، فتكشط ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١]، وتتشقق ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، وتنفطر ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، وتطوى السماوات بيد الله ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، وأما ما تحوي السماء من نجوم، وكواكب، فالشمس والقمر يجمعا ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩]، ثم تكور الشمس ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، والنجوم تطمس، ويمحى نورها ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات:٨]، ثم تنكدر ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢]، ثم تتناثر ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢]، وأما عالم البحار بكبرها وسعة مائها الهائل يوم القيامة تسجر ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦]، ثم تفجر ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣]، ثم يصير حال السموات والأرض كما بينها خالقها في قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ورود جهنم:

الصراط طريق فوق النار المحرقة، كل البشر مسلمهم وكافرهم سيمرون من فوق الصراط، فمنهم من سيمر من فوقه كالريح، ومنهم أبطأ، وكلٌ بحسب أعماله الصالحة في الحياة الدنيا، وأما مستحقوا النار فسيقعون من على الصراط وإلى مقرهم المستحق في نار جهنم ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، قال رسول الله: «**يَرِدُونَ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ**»(١).

(١) مسند أبي يعلي (ج ٥ ص ٥٥).

حساب البشر:

بقيام القيامة وابتداء الحياة الأبدية يقوم رب العالمين بمحاسبة البشر كافة، على كل أعمالهم التي قاموا بها في الحياة الدنيا، وخلال محاكمتهم يضع رب العالمين الموازين، وذلك لوزن أعمال الإنسان كافة، بحيث تكون كفة من الميزان لأعمال الإنسان الطيبة الخيرية، والكفة الأخرى لأعماله الخبيثة، الظالمة، الفاسدة، وحينها يمثل هذا الميزان عدالة الله المطلقة، فكل أعمال الإنسان خلال حياته في الحياة الدنيا تؤتى إليه، ولا يضيع منها مثقال حبة من خردل، بل إن الله يضاعف أجر العمل الطيب، وإن كان مثقال ذرة، وكل عمل خبيث، كل سيئة كسبها في الدنيا تحسب عليه يوم القيامة بسيئة واحدة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وبعقد المحاكمة يقف البشر كافة أمام خالقهم، ويؤتى بالشهداء على جرائم البشر، ومن أبرز الشهداء الكتاب، وهو الذي سجل به كافة أقوال وأفعال البشر خلال حياتهم، عبر الملكين رقيب، وعتيد ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٨]، ويؤتى بالنبيين والرسل كافة ليكونوا شهداء على من أرسلوا إليهم، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩].

وبابتداء الحساب يسلم كل شخص كتابه، ويطلب منه أن يقرأه ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، وبقراءته لكتابه وإن لم يكن في الدنيا قارئًا، إلا أنه بقدرة خالقه حينها سيقرأ سجل أعماله، وحينها يصير حال البشر كما وصفه خالقهم.

أولًا حال الكفار بدين خالقهم وتعاليمه ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، فمن أوتي كتابه بشماله من شدة خوفه وآلامه من العذاب المنتظر له يصيح بقوله يا ليتني لم أوت كتابية ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩]، وعلى نفس السياق من أوتي كتابه وراء ظهره[1] يصبح حاله ما بينه تعالى بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١٠-١١]، ثانيًا المؤمنون بدين خالقهم، أصحاب الأعمال الصالحة هؤلاء يأخذون كتابهم بأيمانهم، وبذلك يصبح حالهم كما بينه خالقهم بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا

(١) إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية (ج ٣ ص ٢٨٩).

كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤].

وأما الكفار والفاسقون يندمون على أعمالهم، ويمقتون أنفسهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر:١٠]، وخلال تلك المحاكمة العادلة ينكر المذنبون ما دون في كتابهم ويحلفون لله بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٢٣]، وبإنكار المذنبين لأعمالهم وجرائمهم الخبيثة يؤتى بشهود من أجسادهم، ومن أبرز الشهود، السمع، البصر، الجلود، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت:٢٠]، وخلال تلك اللحظات العصيبة يأمر رب العالمين أعضاءهم بأن تتكلم، فتتحدث أعضاء الإنسان عن الجرائم التي ارتكبها، بتلك الشهادات يتفاجأ المذنبون، لكونهم أثناء ارتكاب الجرائم في دنياهم كانوا قد ارتكبوها خلسة من أبناء جلدتهم، وحينها كانوا لا يتصورون أن بعض أجسادهم ستكون شاهدةً على جرائمهم، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢]، وبافتضاح المذنبين تخاطبهم أعضائهم وذلك بعد استنكارهم للشهادات بقولها: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت:٢١]، وبانتهاء المحاكمة العادلة، وإقرار المذنبين بذنوبهم ينقسم البشر إلى فريقين فريق في الجنة، وفريق في النار ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧].

فأما الفريق المستحق لدخول الجنة يساقون إليها، وبوصولهم وفتح أبوابها يرحب بهم خزنتها ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

وبالمقابل يساق فريق النار إليها، وهؤلاء بوصولهم إليها وفتح أبوابها يصبح حالهم ما بينه رب العالمين بقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى ﴾ [الزمر:٧١].

من نعيم الجنة:

الجنة كما ورد عنها فيها ما لا عين رأت، ولا أذن بها سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهي خير مستقرًا، وأفضل مقيلا، ومن نعيمها المستحق لقاطنيها ما ورد في آيات القرآن الكريم ومنها أنها خير مستقرًا، وأحسن مقيلا ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٤].

بدخول المستحقين والمستحقات للجنة، يسرون بنعيمها ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف:٧٠].

في الجنة غرف تجري من تحتها الأنهار ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر:٢٠].

يجلسون على سرر من الذهب، والجواهر ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ [الواقعة:١٥].

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴾ [الطور:٢٠].

من مشروبات الجنة ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد:١٥].

وأما أواني المشروبات فهي من الذهب ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧١-٧٣].

وأواني من الفضة ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٥-١٦].

وأما المقدمون لهم الشراب فوصفهم خالقهم بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:١٩-٢١].

ومن مشروباتهم الزنجبيل ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧-١٨].

ومن اللحم المقدم لأهل الجنة أي لحم يشتهون يقدم إليهم ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢].

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١].

وكل ما اشتهت أنفسهم لفاكهة تذلل إليهم، أي يأتي إليهم فرع الشجرة بغية قطف ثمرتها ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤]، وأي فاكهة يرغبون بها تقدم إليهم ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة:٢٠]، ويزوجهم رب العالمين ببنات حور العين ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤]، ومما ورد في وصف الحور العين قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣]، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، ومن ملبوسات وحلي مستحقي الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣]، وفي الجنة نعيمٌ، وملكٌ كبيرٌ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]، هذا بعض ما ورد من نعيم الجنة، أما ما خُفي فلا يعلمه إلى رب العالمين ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

من عذاب مستحقي نار جهنم:

من أصناف العذاب لمستحقي النار في الحياة الأبدية ما بينه رب العالمين ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج:١٩-٢٢]، وأما المنعمون في الدنيا المكذبون لبعث البشر بعد موتهم، يصبح حالهم بأنهم من أصحاب الشمال، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤١-٤٨].

ومن أطعمة وأشربة مستحقي النار ما بينه رب العالمين بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة:٥١-٥٦]، وليس ذلك الطعام، والشراب فحسب، بل من أصناف أطعمتهم، ومشروباتهم قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٧].

وإذا ما طلب المعذبون الغوث، يغاثون بماء كالمهل، يشوي الوجوه ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

ومن أصناف العذاب المستحق للمعذبين، خاصةً لأصحاب المكانات الرفيعة في الحياة الدنيا، الأكل من شجرة الزقوم ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٣-٤٩].

ومن عذاب يوم القيامة العذاب المخصص للأثرياء، وهؤلاء لكونهم كنزوا المال، والذهب في الحياة الدنيا، ولم يراعوا أوامر خالقهم في إخراج زكاة أموالهم للفقراء، بكونهم مخالفين لأوامر خالقهم، أصبح حالهم يتمثل بقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥]، وبديمومة العذاب على مستحقيه، فكلما نضجت جلودهم من شدة العذاب، يصير حالهم كما أراد لهم خالقهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:٥٦].

من حوار قاطني الجنة والنار:

بدخول مستحقي الجنة للجنة، وتنعمهم بها، ودخول مستحقين النار النار وتجرعهم لعذابها من أصحاب الجنة من يخاطب أصحاب النار بقولهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف:٤٤]، وبسماع أبناء جلدتهم من قاطني جهنم لخطاب قاطني الجنة، يردون عليهم بقولهم: ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤]، وكلما تجرع أهل النار للعذاب من هؤلاء من ينادي أصحاب الجنة بأن يتكرموا عليهم بالماء، أو بالفواكه والثمار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠]، فيرد عليهم المنعمون بنعيم الجنة بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

ومن خطاب قاطني النار لذويهم ما بينه خالقهم بقوله: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ

ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٨].

ومن الحوار الدائر آنذاك حوار أهل الأعراف، وهؤلاء أناس تعادلت حسناتهم وسيئاتهم، وباستوائها لم يدخلهم ربهم الجنة(١) ولا النار، ولكن لحين، هؤلاء بطمعهم بدخول الجنة، وحيلولتها دونهم، نادوا أصحاب الجنة بقولهم: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ [الأعراف:٤٦]، كما أن أصحاب الأعراف نادوا أناس من قاطني النار بقولهم: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الأعراف:٤٨].

وبنظر أصحاب الأعراف لقاطني النار، وتخوفهم من أن يصير حالهم إليها، خاطبوا خالقهم بقولهم: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٧]، ثم إن حال الأعراف لم يدم طويلًا، حيث تكرم عليهم خالقهم بإدخالهم الجنة.

(١) جامع البيان للطبري (ج ١٠ ص ٢٠٨).

الركن السادس من أركان الإيمان:

الإيمان بالقضاء والقدر.

بحسب تعاليم الدين الإسلامي، إن رب العالمين هو الذي خلق كل ما في السموات والأرض، وأنه بخلقه لكل شيء قدر لكل مخلوق كل ما يتصل به، سواءً ما يؤدي إلى استمرار وجوده، أو ما يؤدي إلى فساده، أو زواله ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وأن كل شيء خلقه الله بقدر[١] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

فمثلًا المطر إذا نزل على أي جزء من سطح الكرة الأرضية لا ينزل عبثًا، فكل قطرة تنزل من السماء إلى الأرض لا تنزل إلا بأمر الله، وهي مقدرة، ومعلومة، ومعلوم مكان سقوطها، ومدى نفعها، أو ضررها وذلك لدى رب العالمين، وهي نازلة بقدره وأمره ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ [الزخرف:١١]، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، وكل إنسان على سطح الكرة الأرضية، كل ما يتعلق به، كاستمرار وجوده، أو فنائه، خُلق بقدر فأي إنسان وقبل أن يولد من بطن أمه هو خلق بقدر الله، وبسجل خاص دون كل شيء يتعلق به ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وحتى يتضح ما ذكرناه، ولله المثل الأعلى مثلًا صانع السيارة إذا أراد أن يصنع

---

(١) تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ١٤٧).

أي سيارة من الطبيعي هذه الحقائق أن الصانع يعلم مسبقًا بكل تفاصيل صناعة السيارة، نوع الحديد، أو المادة التي ستصنع منها السيارة شكل السيارة، حجم السيارة، عمرها الافتراضي، وكل ما يؤدي لزيادة خدمتها، أو إتلافها، وبعلم صانع السيارة المسبق بكل ما يتعلق بصناعة السيارات، وقبل أن يصنع السيارة بإمكانه أن يكتب كل التفاصيل الخاصة بصناعة السيارة في سجل معين، وبما فيه ما يطيل من عمرها، أو يتسبب في خرابها، وذلك قبل أن يصنعها، وكما أسلفنا لرب العالمين المثل الأعلى.

بعلم رب العالمين المسبق بكل ما يخص أي إنسان، وبكل ما يتعلق به من ممارسته للأعمال الطيبة، أو للأعمال الشريرة، أو بما يصلح حاله، أو يفسده، وكل ما يتعلق به من قريب، أو بعيد، كل ذلك سجله خالقه في سجله الخاص به، وذلك قبل أن يولد، وحينها كانت مقاديره تعالى المقننة، والمحددة، لكل ما يخص الإنسان، أو يتعلق به ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، ومن أقدار الله تقديره لرزق عباده، وبحسب إرادته تعالى ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧]، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، ثم إن الله لا يعزب عنه مثقال ذرة، سواءً في السموات، أو الأرضين ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١]، ومما أسلفنا ينبغي على معتنقي الإسلام الإيمان، والتسليم بقضاء الله، وبكل ما قدره تجاههم خيره وشره.

الباب الثالث
الملك والحكم على ضوء الإسلام

يعد النظام الديمقراطي المبتكر من قبل الدول الغربية بنظرهم[1]، من أفضل ما توصلت له تجارب الشعوب، وذلك لكونه يرجع السلطة إلى الشعب، فالشعب يحكم نفسه بنفسه، وكونه ينظم العلاقة بين السلطات الثلاث.

١) السلطة التشريعية.

٢) السلطة التنفيذية.

٣) السلطة القضائية.

هذا النظام وآلياته إن قُورن بينه وبين التوجيهات والتشريعات الربانية للمنتمين للدين الإسلامي الواردة في دستور الأمة الإسلامية الثابت القرآن الكريم وكل ما ثبت عن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أي في مجال السلطات الثلاث.

سيتضح أن الإسلام قد سبقهم في هذا الجانب، أي في وضع الأسس الرئيسة المتعلقة في منظومة الحكم، وبكون رب العالمين هو خالق البشر، والعالم بما يصلح

(١) النظام الديمقراطي المبتكر من قبل الدول الغربية المتمثلة بدول قارة أوربا وقارتي أمريكا الشمالية والجنوبية).

أحوال خلقه، مما سبق كان له أن وضع للمسلمين منهجًا يحتوي على قوانين، ولوائح، ومبادئ، وأوامر، ونواهي منظمة وموجهة لكل متطلبات البشر، الجسدية، والروحية، وبما فيها كل ما يتعلق في قضية الملك، والحكم، عدا عدم وضعه لآلية الوصول إلى قمة هرم النظام في الدولة، وما ذلك إلا لأن مصلحة المسلمين في قضية الملك، في ما يخص وضع آلية ثابتة لتولي أمور الناس، كتعين شخص لخلافة المسلمين، أو تعينه كملك أو رئيسًا للدولة الإسلامية، قد يتناسب مع فترة زمنية محددة، ولا يتناسب مع فترات أخرى، من هنا وفي سبيل ما يصلح أحوال الناس، لم يضع الإسلام آلية محددة للوصول إلى الملك، تاركًا للمسلمين في ظل الدولة الإسلامية الموحدة، أو في ظل الدول الإسلامية المتعددة، اختيار الآلية، والنظام المناسب لهم، وبحسب ظروف مختلف الزمان والمكان.

السلطة التنفيذية في ضوء الإسلام:

السلطة التنفيذية ابتداءً من رأس هرم سلطة الدولة - ملك، أو رئيس دولة، أو أمير إمارة، أو غيره من مسميات لمناصب قيادية وإلى أدنى الدرجات الإدارية للسلطة التنفيذية في ظل الدين الإسلامي.

لم يترك الإسلام الباب مفتوحًا لأصحاب النزعات الدنيوية، بأن يُجروا تجاربهم وذلك بتولي مصالح الناس، وإدارتهم عبر قوانينهم، واجتهاداتهم الخاصة، والتي من شأنها أن تنجح أحيان، وأحيانًا تخفق، وبالتالي مع كل إخفاق يلحق الضرر بعامة المجتمع، لذلك كان لرب العالمين عبر دينه الذي ارتضاه للبشر الدين الإسلامي التكفل بكل ما يصلح أحوال البشر، وفي أي زمان، أو مكان، وذلك كما بينا بوضعه لوائح، ومبادئ، وقوانين منظمة للعاملين في تلك المناصب،

وللمحكومين، بذلك يرى الدين الإسلامي أن الحاكم الفعلي ليس الأشخاص، إنما الدستور الرباني قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٣]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣].

فمنهج رب العالمين بما يحويه من مبادئ، ولوائح، وقوانين، وأوامر، ونواهي، هي المرتكز الأساس للحاكم في توليه الحكم، ولا يمنع ذلك من اجتهاده في حل النزاعات، والخصومات، في القضايا التي لم يرد لها حلولًا في الدستور الرباني،

فبتولي الأشخاص لمختلف الأعمال الإدارية في السلطة التنفيذية، كان للإسلام أن وضعهم تحت لائحة المحاسبة الإلهية، إذا ما قصروا في أعمالهم، أو ارتكبوا الجرائم تجاه العاملين عليهم، وذلك في الحياة الأبدية، أما عقوبات من يخل بعمله في الحياة الدنيا فقد ترك الإسلام الباب مفتوحًا أمام المسلمين ليضعوا التشريعات المناسبة في عقوبة من تثبت إدانته أي بفساده المالي أو الإداري، إن نظرة الإسلام في اعتبار الدستور الرباني بأنه الحاكم الفعلي يتوافق مع الأنظمة الديمقراطية(١)،

(١) التوافق يتمثل بأن الدستور هو الحاكم الفعلي، مع الفارق بأن الدستور الرباني المتمثل بالكتب السماوية هي صالحة ومصلحة لأحوال البشر وحسب مختلف الزمان والمكان أما دساتير الأنظمة الغربية بكونها =

والتي تعتبر دساتيرها هي الحاكمة والمنظمة لحقوق وصلاحيات كل من الحاكم والمحكوم. وفي هذا الصدد من الموجهات الربانية للعاملين في السلطة التنفيذية.

ففي مبدأ تحمل المسؤولية يخاطب رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ الحاكم والمحكومين بقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١).

وكل من يحكم الناس بحسب هواه، ومن منطلق مصالحه الخاصة، ولم يُحكم كتاب خالقه في حكمه، يصبح في إطار قول خالقه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ومن لم يستمد حكمه من القوانين الربانية، وحكم بحسب هواه يصبح ظالمًا لنفسه، ولمن يتولاهم، كما يُعد من الفاسقين وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

وأما إذا اعتبر الحاكم، أو الإداري، أو المشرع، رأيه، أو اجتهاداته، أو قوانين أي من كان، أفضل من القوانين المنزلة على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، بالقرآن الكريم مثلًا كقوانين القصاص، أو المواريث، فإن هذا الشخص يدخل في إطار قول خالقه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

= من اجتهادات البشر فقد تتناسب مع مجتمعات ولا تتناسب مع مجتمعات أخرى.

(١) صحيح البخاري (ج ٧ ص ٤١).

ومما سبق يصبح مصير الحاكم الظالم الفاسد، في ظل الدين الإسلامي، في إطار قول رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»(١)، وبرحمة من رب العالمين بالمحكومين، كان لرسوله محمدٍ بن عبد الله ﷺ دعوته للحكام بقوله: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به**»(٢).

السلطة التشريعية على ضوء الإسلام:

مهام السلطة التشريعية سن القوانين، المنظمة، والمرشدة، لمختلف شؤون المسلمين، وكون رب العالمين العالم بما يصلح خلقه، أو يفسدهم، عبر دينه، الدين الإسلامي لم يترك الباب مفتوحًا، أمام التجارب، والاجتهادات البشرية في سن القوانين، المصيرية، ففي الجانب التشريعي أنزال القوانين، والتوجيهات المنظمة لمعظم متطلبات الفرد، والجماعة، ابتداءً من الحقوق الشخصية، وإلى الحقوق الجماعية، وليس ذلك فحسب بل وصولًا إلى تنظيم العلاقة بين مختلف مكونات الدولة الإسلامية، وبما فيهم المخالفين لهم بالديانة، إضافةً إلى ذلك تنظيم العلاقة بين الدولة الإسلامية، والدول الأخرى، وعلى الأخص الدول المرتبطة معها بمعاهدات، وبشمول الإسلام للجانب التشريعي لم يقفل الباب أمام الاجتهادات البشرية في سن القوانين، إنما وضع لهم الخطوط العريضة، وعلى الأخص في القضايا المصيرية، بالمقابل ترك لهم باب الاجتهاد في سن القوانين المستجدة

(١) صحيح ابن حبان (ج ١٠ ص ٣٤٧).

(٢) المصدر السابق (ج ٢ ص ٣١٣).

لشؤونهم، ومختلف مصالحهم، وذلك بحسب مختلف الزمان، والمكان، وأما ما عداها من قوانين ومبادئ وتوجيهات ثابته بنص رباني فلا يحق لأي من كان الاجتهاد فيها، أو تجاوزها، أو إلغائها.

كما أن الإسلام ترك الباب مفتوحًا أمام الاجتهادات البشرية في وضع آلية لتعين السلطة التشريعية، بما فيها إعداد القائمين بها، وما ذلك إلا ليترك الباب مفتوحًا أمام معتنقي الدين الإسلامي وبحيث يتم تطوير أنظمة هذه السلطة بحسب التطور التدريجي للأمم، وبما يتناسب مع مصالحهم الفردية، والجماعية،

ومع ذلك كان اهتمامه بهذه السلطة، والقائمين بها، ومما ورد في هذا الجانب القائمين بها يعدوا من الحاصلون على الدرجات العلية في العلم، وليس ذلك فحسب، وإنما الواصلين إلى درجة الاجتهاد في سن القوانين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء:٨٣]، وهؤلاء يعدوا من صفوة المجتمع، وفي من يحذوا حذوهم رغب الإسلام بسلوك طريقهم بقول رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقه في الدين**»(١).

بالمقابل كل من يسن قوانين مجحفة بحق البشر يندرج في إطار قول رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ: «**من سن سنة حسنة فإن له أجرها، و أجر من عمل**

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٢ ص ٢٣٤).

بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، و من سن سنة سيئة كان عليه وزرها، و مثل وزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

الإسلام يسن القوانين المنظمة للبشر:

كما أسلفنا يرى الإسلام أن الحاكم الفعلي هو الدستور، المتمثل بالكتاب السماوي ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣]، وهذا الدستور الرباني.

وضعت فيه القوانين التي تعالج أمهات مشاكل المجتمعات البشرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر من تلك القوانين واللوائح والتوجيهات الربانية.

قانون قتل النفس البشري ظلمًا وعدوانًا:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥].

قانون معالجة قتل الخطأ:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

(١) صحيح بن خزيمة (ج ٤ ص ١١٢).

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٩٢].

قانون حد ارتكاب جريمة السرقة:

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٨].

قانون إتلاف العين أو الأذن أو الأنف أوالسن:

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

فمرتكب تلك الجرائم إن قام بها ظلمًا، وعدوانًا، تنفذ فيه تلك العقوبات، إلا أن يتصدق عليه المعنيون، أي مسامحتهم عن جرائمهم، مقابل أن يرحمهم خالقهم، ويعلي من قدرهم في الحياة الأبدية، أو مقابل صلحٍ يرتضيانه، وفي قضية الجرائم التي تتمثل بالاعتداءات الجسدية، كالضرب، والكدمات، والخدوش، جعل الإسلام عقوبة مثل هذه الاعتداءات بيد القضاة، والحكام، وذلك عبر اجتهادهم بتقدير العقوبة المناسبة قال تعالى: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

قضية المواريث:

وضع الإسلام الخطوط العريضة لحل قضية المواريث(١)، هذه الخطوط قد تعجز الاجتهادات البشرية في حلها، كما ترك الإسلام الكثير من فروع قضية المواريث الناتجة من التطورات البشرية لاجتهادات البشر، من أبرز التشريعات الربانية في قضية المواريث.

قانون استحقاق إرث الذكر بالنسبة للأنثى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء:١١].

قانون الكلالة:

ومستحق إرث الكلالة يتلخص في قول رب العالمين: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [النساء:١٧٦].

ومن أبرز القوانين الربانية المنظمة لاستحقاق الميراث:

حسب التشريع الرباني ما بينه رب العالمين في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ

(١) البيان والتحصيل لمحمد القرطبي (ج ١ ص ١٩).

فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:١١].

قانون إرث الرجل لزوجته:

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ ﴾ [النساء:١٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ ﴾ [النساء:١٢].

قانون إرث المرأة لزوجها:

ما بيناه ما هو إلا نموذجٌ من التشريع الرباني، للاستفادة راجع مصحف القرآن الكريم، ستجد أنه وضع جانبًا كبيرًا من التشريعات في قضية المواريث.

قانون تعدد الزوجات:

قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء:٣].

قانون إمكانية أن يأكل الزوج من مال زوجته:

يحق للزوج أن يأكل من مال زوجته وذلك برضاها ما لم فالزوج آثم ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء:٤].

قانون الطلاق:

قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩].

قانون رعاية الطفل:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٣].

قانون التعامل مع أسرى الحرب:

إذا ما اعتدت دولة أو أمة لا تدين بالإسلام على المنتمين للإسلام، وكان الجهاد، خلال الحرب واقتتال الجانبين حث رب العالمين رسوله محمدًا بن عبد الله ﷺ والمجاهدين بأن يجهدوا أنفسهم في قتال أعدائهم، وأن يبالغوا في قتالهم، ولا يحرصوا على أسر أعدائهم، بغية الحصول على متاع الدنيا الزائف، وذلك

بالحصول على الفدية، مقابل إطلاق الأسرى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٧].

وباشتداد المعركة، وإنزالهم الضربات القاتلة في صفوف أعدائهم، حينها لا بأس للمجاهدين من أخذ أسرى من صفوف أعدائهم، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٤-٧].

وبالحصول على أسرى من الحرب، بين رب العالمين للمجاهدين وللمسلمين بكيفية التعامل معهم، وذلك أولًا بالإحسان إليهم، ثم بعد ذلك إما بالتفضل عليهم بإطلاقهم من الأسر، تكرمًا، بلا مقابل، أو إطلاقهم من الأسر مقابل تحقيق مصلحة معينة، كمبلغ معين من المال، يفرضونه عليهم، أو غير ذلك مما يتم الاتفاق عليه قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد:٤].

قانون كفارة اليمين:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٨٩].

قانون تحريم الرجل على نفسه زوجته واعتبارها كأمه:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة:٢-٤].

قانون كفارة الممتنع عن جماع زوجته بيمين:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٦].

قانون قتال الطائفة الباغية:

دخول طائفتين من المسلمين في خلاف، أفضى بهما إلى دخولهما في حرب دامية، ما الحل لهذه المشكلة؟

في دستور معتنقي الإسلام قرآن الله المنزل على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ جاء بالحل الشافي، وذلك عبر مرحلتين.

المرحلة الأولى: إذا ما حدث بين طائفتين من المسلمين خلاف ولأي سبب كان، وتطور الخلاف إلى عدم تطبيق قول خالقهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] ومن ثم دخولهما في مواجهات دامية، تزهق الأرواح،

على الجهة الخارجة عن دائرة المتنازعين من المنتمين للدين الإسلامي أن تتحرك صوب قادة الطائفتين المتنازعتين، وذلك بغية إنهاء مواجهاتها الدامية، عبر صلح يرتضيانه، وفي حالة عدم التوصل للصلح، وتمادت إحدى الطائفتين في خصومتها، ظلمًا، وقتلًا، على نظيرتها، هنا تأتي المرحلة الثانية: فعلى الجهة الخارجة من دائرة النزاع أن تقوم بمقاتلة الطائفة الباغية، حتى تتوقف عن جورها، وبغيها، وفي هذه الحالة بانكسار هذه الطائفة، بعد مواجهتها بقوة السلاح، وقبولها في أن يُحكم فيها حكم خالقهم، على جهة المصلحة

أولا: أن تكف عن قتال الطائفة الباغية

ثانيا: أن تقوم بإصلاح الشأن بين الطائفتين المتقاتلتين، وذلك بالعدل، والإنصاف

هذا الحل ينطبق على طائفتين من المنتمين للدين الإسلامي أو قبيلتين مسلمتين، أو حزبين مسلمين، أو دولتين مسلمتين أو ما شابه ذلك، ما أوردناه من حل يتجسد في قول رب العالمين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] ولأن المنتمين للدين الإسلامي كافة أخوة واقتتال أي كان منهم، يُعد في نطاق الأخ يقتل أخاه، بذلك وجه رب العالمين المنتمين لدينه بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]

السلطة القضائية في ضوء الإسلام:

السلطة القضائية على أعلى مستوى النظام، أو على مستواها الدنيا في ظل الدين الإسلامي كان له السبق في تأسيس أهم مرتكزاتها، وذلك بوضع القوانين المنظمة لحياة البشر، ونقصد بالقوانين المنظمة لحياة البشر بالقوانين الربانية، التي لا تخضع للاجتهادات البشرية، وأبرزها كما بيناها آنفًا قوانين المواريث، وقوانين القصاص، وغيرها بذلك ما على القضاة إلا البت والحكم في قضايا الناس، ومن منطلق قوانين المنهج الرباني، وأما تأسيس العمل المؤسسي الإداري الخاص بسلطة القضاء، فنتيجة لعلم رب العالمين المسبق بما يصلح أحوال خلقه لم يضع لهم تشريعًا ملزمًا ولإيضاح ما أوردنا فمثلًا بمرور الدولة الإسلامية في مراحل زمنية مختلفة، وديمومة تطور العلم، وابتكار الإنسان لوسائل وتقنيات تفيد الإنسان، وتسهل له قضاء مصالحه، كتقدم تقنيات المواصلات من سيارات، وطائرات، أو ارتباط الدولة ببنوك دولية، فمستجدات إدارة ما أوردنا وما ينجم عنها من مشاكل يفرض على المجتمع ابتكار قوانين تواكب تلك التطورات لذلك الإسلام

فتح باب الاجتهاد أمام الدولة الإسلامية، أو الدول الإسلامية، لتطوير النظام المؤسسي، وبما فيها السلطة القضائية، وبما يتناسب مع مصالحهم، وفي أي زمان، ومكان.

ومن هذه المنطلق ممارسة القضاة لأعمالهم، وبمختلف مستوياتهم الإدارية ستتم وبكل نجاح، خاصةً إذا عُلم أن القاضي في ظل الدين الإسلامي لا سلطة عليه، ومن شأنه استدعاء أي موظف ولو كان الشخص الأول في إدارة الدولة، ومحاسبته إن كان قد اقترف جرمًا، وهذا ما حدث في زمن الخليفة علي بن أبي

طالب رضي الله عنه وذلك باستدعائه من قبل القاضي شريح، إثر تقديم شكوى به، من قبل رجل معتنق للديانة اليهودية، باستدعاء خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وجلوسه بجوار الشاكي به، واستماع القاضي من الطرفين، ولأن علي بن أبي طالب حينها لا يملك الشهود على تفنيد دعوة اليهودي حينها ما كان للقاضي إلا أن حكم لمصلحة اليهودي، وبذلك قبل علي ابن أبي طالب بنتيجة الحكم(١) تلك العدالة -أي عدالة الإسلام- جعلت من اليهودي أن يعيد الحق لعلي ابن أبي طالب، وليس ذلك فحسب، بل كان له اعتناق الإسلام، وذلك بعد معايشته لعدالة حكمه، ثم إن الدين الإسلامي لم يترك الباب مفتوحًا أمام القضاة لممارسة أي ظلم يقومون به، ولخطورة العمل بهذه المؤسسة، ومن ظلم محتمل قد يقوم به القضاة، كان لرب العالمين أن حذر القضاة من مغبة من يرتكب جريمة تجاه أي إنسان بريء، وذلك بمحاسبته، ومعاقبته في الحياة الأبدية، بعد رحيله من الحياة الفانية، ومن تلك الموجهات الإسلام وضع مبدأ المسألة في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**»(٢).

كما بين الإسلام خطورة من يعمل بالقضاء، وذلك ليس بصرف الناس عن العمل بمجال القضاء، وإنما بإعطاء صورة واضحة لمغبة من يعمل بالقضاء، في

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (ج ٥ ص ٢٠٢).

(٢) صحيح البخاري (ج ٢ ص ٦).

سبيل تحقيق مصالحه الشخصية، قال رسول الله ﷺ: «**من جُعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين**»(١)، وقال ﷺ: «**ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط**»(٢)، وحذر الإسلام القضاة من مغبة أخذ الرشوة ،بقول رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»(٣)، واللعن هو الطرد من رحمة الله، وأشار الإسلام إلى مصير القضاة في الحياة الأبدية، وذلك بقول رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ: «**القضاة ثلاثة، قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، قضى بالحق فذلك في الجنة**»(٤).

النظام الذي كُلف به أول خليفة راشدي في قيادة المسلمين:

الطريقة التي وصل بها الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق رضوان الله عليه إلى سدة الحكم خليفةً لرسول الله ﷺ وذلك بعد مفارقته ﷺ للحياة تُعد شورى بالمفهوم الإسلامي، كما تُعد طريقة مبتكرة، كونها تمخضت بآلية من آليات الوصول إلى سدة الحكم، يمكن الأخذ بها، وعبرها يمكن للمنتمين للدين الإسلامي أن يفاخروا بها تجاه ، المروجين للنظام الديمقراطي، المبتكر من قبل الدول الغربية، فإذا كان هؤلاء يفاخرون بأن الحكام يتم تعيينهم من قبل الشعب،

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٢ ص٣٦٥).
(٢) المصدر السابق (ج ٢ ص ٧٥).
(٣) مصنف عبد الرزاق (ج ٨ ص ١٤٨)
(٤) سنن الترمذي (ج ٣ ص ٦١٢).

فأبو بكر الصديق وصل إلى سدة الحكم، من خلال فئات من كبار شخصيات الدولة الإسلامية، والذين يعدون من أهل الحل والعقد(١) فكما هو معلوم بأن رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل التشريع الإسلامي ، والذي شمل كل متطلبات البشر "المادية والنفسية" كمبادئ، وموجهات، وقوانين عريضةٍ، بالمقابل ترك الإسلام الفروع للاجتهادات البشرية، حسب مقتضى الزمان، والمكان، وفي قضية الملك إشارة كثيرًا من آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية لقضية الملك، ومنها أن المانح للملك هو رب العالمين قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران:٢٦]؛ ثم بين الإسلام أبعاد من يلي أمور المسلمين، ولم يطبق فيهم شرع خالقهم، أو من يستغل وظيفته لتحقيق مصالحه الشخصية، وعلى حساب من يتولى إدارتهم، وكما أسلفنا لأن مشيئة رب العالمين منح العباد حرية ممارسة أعمالهم، وحل الكثير من القضايا المستجدة، نتيجة التطورات البشرية بحسب مصالحهم، لذلك لم يضع المنهج الرباني آلية ليتم الوصول بها إلى المُلك، ولم يُعلم للمسلمين في حياة رسوله ﷺ أنه أوصى أو رشح شخصًا بعينه، لتولى قيادة المسلمين، بعد وفاته ﷺ(٢) فعلى خلفية وفاة رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ اجتمعت شخصيات إسلامية من قبيلتي الأوس والخزرج في سقيفة بني

(١) البيعة الأولى في سقيفة بني ساعدة).

(٢) الشمائل للترمذي (ج ١ ص ٣٣٩).

ساعده، وبانطلاق هؤلاء من موقعهم الريادي، كونهم نصروا الإسلام في أيامه الأولى ، من خلال إيمانهم برسالة رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ ، في حين كذبه صناديد قريش، وكبار شخصياتها، وباستقبال أولئك في مدينتهم لرسول الله والمهاجرين من مكة، الفارين بدينهم، من الاضطهاد القرشي ، وبذلهم في نصرتهم وخدمة الإسلام الغالي والنفيس، من خلال تلك المرتكزات؛ اعتقد من اجتمع بسقيفة بني ساعدة من أبناء الأوس والخزرج بأنهم أهلٌ لقيادة المسلمين، بعد وفاة نبيهم ﷺ وبتجاذبهم للنقاش في من يخلف رسول الله ﷺ رأى البعض في استحقاق سعد بن عبادة سيد الخزرج[1] خليفة لرسول الله ﷺ وعلى خلفية وصول أخبار نبأ السقيفة إلى أبي بكر، وعمر بن الخطاب ،وأبي عبيدة بن الجراح ، هؤلاء ما كان لهم إلا أن سارعوا إلى حضور ذاك الاجتماع ، ولم يكن القصد منهم في الحضور حب "الإمارة" والتربع على الكرسي إنما كان الهدف من ذهابهم إلى السقيفة الحرص على ديمومة توحد الأمة الإسلامية، وخوفهم من وقوع المسلمين في دائرة الصراع السياسي، الذي يفضي إلى تفكك وحدة المسلمين، وإضعاف شوكتهم ، بذلك وإثر وصولهم إلى السقيفة دخلوا مع تلك الشخصيات[2] الإسلامية في نقاش مطول "حول من يستحق قيادة المسلمين" وكان أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح يرون أن المسلمين الأوائل من الفرع القرشي، أولى بقيادة الدولة الإسلامية ليس لتميزهم عن مسلمي

(١) تاريخ الإسلام للهبي (ج ٣ ص ٦).

(٢) شخصيات قيادية من قبيلتي الأوس والخزرج كالحباب بن المنذر وسعد بن عبادة وبشير بن سعد الأنصاري وأسيد بن حضير.

المدينة ، أو غيرهم ، أو لكون رسول الله ﷺ منهم إنما لكون القرشيين يُعدون أول من آمن بالرسالة، وأول من تعرضوا لإيذاء الكفار، وأول من ضحى بحاله ،وماله، في سبيل نصرة دين رب العالمين من خلال ذاك التصور اعتقدوا بأنهم أولى بقيادة الدولة الإسلامية، وبعد نقاش مطول بين تلك الشخصيات الإسلامية تمكن أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح من إقناع نظرائهم "المدنيين" عبر الحوار الودي بأن تكون الخلافة في الفرع القرشي، متمثلة بشخصية أبي بكر الصديق ،بذلك بايعه من كان في السقيفة[1] ثم في المسجد بايع أبا بكر الصديق في توليه خلافة الدولة الإسلامية نخبة من المهاجرين والأنصار، ومن هنا يُرى: أن مبدأ الشورى المرتكز على أهل الحل والعقد في الأيام الأولى للدولة الإسلامية قد طُبق في اختيار الحاكم، تلك التجربة الفريدة ابتكرها المسلمون قبل ألف وأربع مائة سنة، وبها يحق للمسلمين أن يفاخروا بها على المروجين للديمقراطية سواءً أكانوا من المنتمين للدين الإسلامي أو من عداهم.

(١) تاريخ الأمم والملوك الطبري (ج ٢ ص ٢٤٣).

الباب الرابع
الإسلام موجه للبشر كافة

دعوة معتنقي اليهودية لاعتناق الإسلام:

معتنقي الديانة اليهودية يُعرفون ببني إسرائيل، وبنو إسرائيل هم أولاد نبي الله يعقوب عليه السلام، وكل من ينتمي لأولاد نبي الله يعقوب، ولا ينحصر معتنقي اليهودية على من ينتمي لنسل بني إسرائيل، حيث عبر الزمان دخل الكثير من الناس بالديانة اليهودية، من عدا بني إسرائيل، بمرور الزمن أصبح الجميع يعرفون باليهود، ومما سبق لا يجوز أن نقول بأن كل يهودي يعد من بني إسرائيل، ثم إن الدين الذي أنزل على نسل بني إسرائيل في عصر نبي الله موسى عليه السلام هو دين رب العالمين، وإنما يُعرف – حاليًا – بالديانة اليهودية؛ لأن نبي الله موسى عليه السلام خاطب خالقه بقوله ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] ومن هنا أصبح لاحقًا يُعرف مفهوم الدين الذي أتى به نبي الله موسى عليه السلام باليهودية، وبشأن معتنقي اليهودية عامة وبني إسرائيل خاصة نزلت الكثير من الآيات القرآنية تتحدث عنهم، وبجانب كبير من التفصيل، منها أن بني إسرائيل في عصر إحدى أممهم فضلهم خالقهم على بشر زمانهم كافة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٢]

إن رب العالمين وهب بني إسرائيل الكتاب، والحكم، والنبوة، أي جعل سواد الأنبياء من نسل بني اسرائيل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:١٦]

إن القرآن الكريم أورد الكثير من اختلافات بني إسرائيل ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦].

أن بني إسرائيل ليسوا سواء، منهم الضالون، ومنهم المكذبون للدين الإسلامي، ومنهم الصالحون، وهؤلاء بإدراكهم أن الإسلام دين خالقهم سيعتنقوه، وبذلك يتفانون في عبادة خالقهم، بغية الحصول على رضاه، ونعيمه الأبدي، في الحياة الأبدية ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣]

إن الكفرة بدين خالقهم لعنوا، على لسان بعض أنبيائهم ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة:٧٨]،

أن حال بني اسرائيل مع انبيائهم ما وصفه خالقهم بقوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة:٧٠].

إن بني إسرائيل بالرغم من علمهم بآخر الأنبياء، والمرسلين وأن الدين الذي سيقوم بنشره ما هو إلا دين رب العالمين، ومع ذلك الكثير منهم كفروا بالدين

الذي جاء به ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦]

إن سبب عدم إيمان فئات من بني إسرائيل بالدين الذي أتى به محمد ابن عبد الله ﷺ ما هو إلا بسبب تكبرهم ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٠].

أن رب العالمين سيوجه دعوته لليهود كافة، والنصارى، لاعتناق دينه الدين الإسلامي، وذلك من خلال رسوله محمد بن عبد الله ﷺ أو بأي وسيلة تصل إليهم كآيات القرآن الكريم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

بدعوتهم للإسلام، وإصرارهم على الانتماء لليهودية، أو للنصرانية يوجههم خالقهم بقوله ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥] ملة نبي الله إبراهيم أي نفسه الدين الذي كلف بنشره محمد بن عبد الله ﷺ.

دعوة معتنقي الديانة النصرانية لاعتناق الإسلام:

يخاطب رب العالمين معتنقي النصرانية بأن إلههم واحد، لا ثلاثة، وهو رب العالمين، وأن عيسى بن مريم ما هو إلا خلق من خلقه، وعبدٌ من عباده، ورسولٌ من رسله، وأنه وأمه بشران، مثل البشر، يأكلان الطعام، ويمشيان في الأسواق ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٥]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

كما بين رب العالمين أن من يعتقد بأن رب العالمين يتكون من ثلاثة بأنه كافر بخالقه، ومعرض لعقابه ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ

إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٣]

وبرحمةً من رب العالمين يخاطب عباده من معتنقي النصرانية بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١].

ولم يكتف رب العالمين بمطالبة أهل الكتاب بالكف عن الغلو بالدين، بل رغبهم باعتناق دينه، الدين الإسلامي، الذي أنزله على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

ولرحمة رب العالمين بعباده من معتنقي النصرانية، واليهودية، وجه دعاة الإسلام باستخدام الحوار البناء، وذلك أثناء دعوتهم أهل الكتاب لاعتناق الدين الإسلامي، أو أثناء نقاشهم معهم، وذلك في أي موضوع من المواضيع، أو قضية من القضايا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

دعوة المشركين لاعتناق الإسلام:

رب العالمين هو خالق السماوات السبع، والأرضين السبع، وما تحويهما من مخلوقات، بذلك هو المستحق للعبادة، ومن كافة مخلوقاته، وبما فيهم عالم البشر، والجان، وكل من ظن أو اعتقد أن مع الله شركاء، بإمكانهم إدارة بعض أو جزء مما في هذا الكون، أو بإمكانهم تقديم النفع، أو دفع الضر عن البشر، يُعد مشركًا برب العالمين، وبالرغم من إشراكه بخالقه، وحافظه، ورازقه إلا أن رب العالمين رحمته شملت خلقه كافة، وعلى رأسهم المشركين به، وتجسدت رحمة رب العالمين بهم، وبكل من يشرك به بتوجيههم عبر الأنبياء والرسل والكتب السماوية بأن يسعوا جاهدين بإنقاذ أجسادهم من عذابه، وذلك بأن لا يشركوا به، ولن يكون ذلك إلا باعتناقهم للدين الإسلامي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] وبآيات القرآن الكريم دعاهم خالقهم لتفعيل عقولهم، في التفكر بصاحب استحقاق العبودية، والربوبية، أهي آلهتهم التي أشركوها مع رب العالمين أم رب العالمين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم:٤٠] باستحقاق رب العالمين للألوهية والعبودية حذر كل من يشرك به بقوله: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ [يونس:٢٨] بهذه الحجج الربانية، وغيرها من آيات القرآن الكريم الموجهة تجاه المشركين بخالقهم ما لم توقظ المشركين من غفلتهم، ويعتنقوا الدين الإسلامي، فإن مصيرهم المحتوم هو العذاب الأليم، أبد الآبدين، في الحياة الأبدية.

دعوة البشر كافة لاعتناق الإسلام:

الدين الإسلامي دين رب العالمين، وبكونه دين رب العالمين كان له توجيه الدعوة لكافة البشر، وفي كل زمان، ومكان بأن يتعرفوا عليه، وذلك باطلاعهم على آيات القرآن الكريم، المنزلة على المكلف بنشر دين خالقه محمد بن عبد الله ﷺ، ثم بتدبرهم بمنهج خالقهم، منهج القرآن الكريم، إذا وفقهم الله، وسدد خطاهم، سيفضي بهم المطاف إلى اعتناق الإسلام، عن قناعة، ورضى نفس، ما لم يؤمنوا لهم الحرية في البقاء على دياناتهم، لكن عليهم أن يدركوا أنه بوصول الدعوة لاعتناق الدين الإسلامي إليهم، أو لأي بشر، وفي أي زمان، ومكان، سواءً من خلال رسل الله، أو من خلال دعاة الإسلام، أو عن طريق آيات القرآن الكريم، ما لم يُعتنق دين رب العالمين يصبحون معرضين للمسآلة، والمحاكمة، فالعقاب الرباني وذلك بعد رحيلهم من الحياة الدنيا، وانتقالهم إلى الحياة الأبدية ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩].

من يبتغي غير الإسلام دينًا:

لكل إنسان الحرية الكاملة في اعتناق الدين الذي يناسبه في حياته، فبإمكانه أن يعبد أي مخلوق من مخلوقات رب العالمين، كالشمس، أو القمر، او الرعد، أو أي

حيوان، أو ما يشاء، له الحرية الكاملة في الحياة الدنيا بأن يعبد ما يشاء، أو أن يظل بلا دين، ولأن له الحرية في الدنيا، والحساب في الآخرة، وعلى أعماله كافة، ومعتقداته، من قبل خالقه، ولجهل الإنسان بحقيقة الهدف الذي خلق من أجله، في الحياة الدنيا، وحقيقة خالقه، ورازقه، ومن هنا كان لرب العالمين أن بعث أنبياءه، ورسله في مختلف الأزمنة، وما ذلك إلا لتعريف البشر بحقيقة مغزى وجودهم على سطح الكرة الأرضية، وكان للأنبياء والرسل أن بينوا لأقوامهم أن خالقهم هو الوحيد المستحق للعبادة، وأنهم بحالة مخالفة أوامره، وبغيهم في حياتهم، سيتعرضون للمسألة، والمحاسبة في الحياة الأبدية، بعد رحيلهم من هذه الدنيا، تلك التوجيهات والتعاليم الربانية أُختتمت بالدين الإسلامي، والذي كلف بنشره محمد بن عبد الله ﷺ ومما سبق يُعد الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه رب العالمين للبشر كافة، وفي كل زمان ومكان ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وكل من يتخذ دينًا غير الإسلام لن يقبل رب العالمين به، وسيحاسبه على عدم اعتناقه للإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

المرتد عن الدين الإسلامي:

بدخول أي رجل أو امرأة الدين الإسلامي، طوعًا، عن قناعة ورضى نفس، وبآيات القرآن الكريم، وكل ما ثبت عن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير كل ما تدبر فيهما المعتنق للدين الإسلامي، كل ما ثبت الإيمان في قلبه، وكل ما سدد خالقه خطاه، وبحالة خروج أي رجل أو امرأة من

الدين الإسلامي، أي ارتدادهما عنه، ولأي سبب من الأسباب فهؤلاء لن يلحقوا الضرر بالدين الإسلامي، ولا بمعتنقيه، ولن يضروا إلا أنفسهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [المائدة:٥٤] وتتمثل خسارة المرتد بأن يحبط عمل في الحياة الدنيا، ويخلد بالنار في الحياة الأخرى قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة:٢١٧].

انتشار الإسلام إلى مختلف دول العالم:

انتشار الإسلام في العصر النبوي من البعثة - ١١ هـ:

ولد الإسلام في مكة المكرمة،(١) وكُلف بتبليغه للناس رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وذلك من خلال قراءته للناس لآيات من القرآن الكريم، المنزلة عليه، من خالق السموات والأرض، وفي عهده ﷺ(٢) انتشر الإسلام أولًا في مكة المكرمة، ثم باجتهاد رسول الله ﷺ وفئات من أصحابه بتبليغ رسالة خالقهم انتشر الإسلام في المدينة المنورة والتي كانت حينها تُعرف بيثرب، ثم القرى

(١) المندرجة حاليًّا في إطار مدن المملكة العربية السعودية.

(٢) العهد النبوي أي خلال حياة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.

المجاورة لها، ثم كان للإسلام خلال العصر النبوي انتشاره في مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية[١].

انتشار الإسلام خلال العصر الراشدي ١١- ٤٠ هـ:

في عصر الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فعلي بن أبي طالب انتشر الإسلام في كل من دول بلاد الرافدين[٢] وإيران، فمصر، فليبيا ولأن معظم هذه البلدان كانت حينها أي قبل اعتناقها للدين الإسلامي تحت النفوذ الرومي، والفارسي وهاتان الإمبراطوريتان كانتا حينها تقف حجر عثرة أمام تبليغ الناس بدين خالقهم.

لذلك أقدم الخلفاء الراشدون بإعداد الجيوش وإرسالها إلى تلك البلدان بغية أن يتصدوا للنفوذ الفارسي، والرومي إن اقدما على منع دعاة الإسلام بأن يبلغوا رسالة خالقهم[٣] وذلك كما أسلفنا سابقًا من خلال تعريف الناس بمضمون الدين الإسلامي، بقراءتهم للقرآن الكريم، ولأن النفوذ الفارسي والرومي في تلك المناطق كان قد قرر التصدي لانتشار الإسلام، ومقاتلة من يعمل على نشره، فما كان أمام الخلفاء الراشدين من خيار إلا التصدي للعدوان ، وبانكسار

(١) شبه الجزيرة العربية حاليًا تحوي دول كل من اليمن والسعودية والكويت والبحرين وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين.

(٢) بلاد الرافدين تعرف حاليًا بدول كل من العراق سوريا لبنان فلسطين الأردن.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (ج ٣ ص ١٥٠).

جيوشهم تسنى لقاطني تلك المناطق التعرف على الدين الإسلامي، ومن ثم كان لهم الدخول فيه عن طواعية، ورضا نفس.

انتشار الإسلام خلال العصر الأموي ٤٠ - ١٣٢ هـ:

كان للخلفاء الأمويين العمل على نشر الإسلام، وعلى نفس السياق السابق بوقوف، وصد الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية لدعاة الإسلام، ومنع انتشار الإسلام بقوة سلاحهم، ورجالهم كان للخلفاء الأمويين إعداد الجيوش ومن ثم صد عدوانهم(١) ثم دعوة الناس إلى اعتناق دين خالقهم، وذلك في دول كل من بقية أقطار المغرب العربي(٢) وتعدت الدعوة الإسلامية هذه البلدان، ليصل الإسلام إلى بلاد الأندلس(٣) والمعروفة حاليا بدولتي البرتغال واسبانيا كما كان لخلفاء الدولة الأموية العمل على نشر الإسلام في البلدان الواقعة شرق الإمبراطورية الفارسية آنذاك(٤).

انتشار الإسلام خلال العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦ هـ:

وصل الإسلام سلمًا عبر الدعوة لاعتناقه إلى منتصف القارة الأسيوية، وليشمل دولة الهند حاليًا، ومناطق واسعة من دولة الصين(٥) كما كان للكثير من

---

(١) المحن لأبي العرب التميمي (ج ١ ص ٢٩٠).

(٢) دول المغرب العربي تعرف حاليًا بدول كل من ليبيا تونس الجزائر المغرب العربي موريتانيا.

(٣) تاريخ العلماء بالأندلس لأبي الوليد الأزدي (ج ١ ص ٨٧).

(٤) أبرز المناطق والتي دخلها الإسلام تعرف حاليًا بدول كل من افغانستان باكستان تركمانستان.

(٥) تاريخ ابن الوردي (ج ١ ص ٣٣٨).

بلدان القارة الأفريقية إبان الدولة العباسية اعتناقهم للدين الإسلامي، ولعلى أبرز تلك البلدان الواقعة حاليًا في شمال ومنتصف القارة الإفريقية، وبذلك أصبحت الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، وبلغ حدودها من الصين شرقًا، وإلى المحيط الأطلسي غربًا.

انتشار الإسلام خلال الدولة العثمانية ١٥١٦-١٩٢٤م:

بذل العثمانيون جهدًا كبيرًا في تبليغ دين خالقهم، الدين الإسلامي، فبعد أن خضعت البلدان العربية كافة للخلافة العثمانية، على أساس أن العثمانيين مسلمين، ونظامهم امتدادًا للخلافة الإسلامية، باستقرار دولتهم سارعوا بنشر الدين الإسلامي، وعلى الأخص في البلدان الواقعة ما وراء جبال طوروس[١] بذلك كان للكثير من سكان شرق ووسط القارة الأوربية اعتناقهم للدين الإسلامي، وعلى الأخص دول كل من المجر، وبلغاريا، والصرب، وألبانيا، والبوسنة. والهرسك.

انتشار الإسلام خلال العصر الحديث:

أثناء العصر الحديث أسهم تجار معتنقي الدين الإسلام بنشر الإسلام، ولعلى أبرزهم تجار اليمن، ففي سبيل مرضات الله بذل التجار جهدهم في تبليغ دين خالقهم، وذلك من خلال سلوكهم الحسن، من صدق الحديث، والوفاء بالعقود، والعهود، وأداء الأمانات بتلك الصفات وتعريفهم للناس بمضمون الدين

(١) تاريخ الدولة العثمانية محمد فريد (ج ١ ص ٢٠٣).

الإسلامي بفضل الله، ثم بجهودهم انتشر الإسلام في دول جنوب شرق آسيا(١) ودول وسط قارة افريقيا، وامتدادًا من التأريخ الحديث، مرورًا بالتأريخ المعاصر، وإلى يومنا هذا كان للمغتربين والتجار إسهاماتهم في نشر الإسلام، إضافةً إلى جهود بعض الدول المنتمية للإسلام كالمملكة العربية السعودية، وذلك في مختلف دول القارات الست(٢) أولئك الدعاة بذلوا جهدهم في سبيل نشر دين رب العالمين كما أسلفنا من خلال تعريف الناس بمضمون الدين الإسلامي، بقراءتهم لآيات من قرآن خالقهم، القرآن الكريم، وبسلوكهم المتسم بالصفات الحميدة، وباجتهاداتهم كان للإسلام تقبله، واعتناقه في الكثير من دول القارات الست، ولكن بنسب متفاوتة، أي ما بين الواحد وإلى العشرين بالمائة من نسبة عدد السكان، بفضل الله ثم بتلك الجهود وصل عدد الدول المنتمية للدين الإسلامي ما يقارب ٥٦ دولة، عربية، وإسلامية وأما الدول التي يتواجد فيها الإسلام وإن كانت نسبة المسلمين بالنسبة لعدد السكان الكلي قليلة، فالإسلام يكاد أن يكون في معظم دول القارات الست.

محمد بن عبدالله:

هو نبي الله، ورسوله هو الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وذلك بتكليفه بنشر الإسلام، وحتى يُفهم بعض جوانب سيرته العطرة نرد ما يلي رسول الله: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه آمنة بنت وهب بن

(١) كالدول المعروفة حاليًا بدولة ماليزيا وإندونيسيا.

(٢) القارات الست تعرف بقارة آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا.

عبد مناف بن زهرة[١]، وبزواج والد الرسول ﷺ على آمنة بنت وهب، وخلال عمله بمجال التجارة توفي ورسول الله ﷺ ما زال في بطن أمه، وبمولده ﷺ كفله جده عبد المطلب[٢] وخلال السنة الخامسة من عمره ماتت أم الرسول آمنة، وحينها أصبح رسول الله ﷺ يتيم الأبوين، ومع أن جده عبد المطلب أولاه اهتمامه، وقربه إليه لكن واقع الحال لا يمكن أن يعوض أي ولد حنان الأبوين، وذلك من ود، ورحمة، وبهذا الحال وافتقاده لأعز الناس إلى قلبه إلا أن رعاية رب العالمين تكفلت به قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى:٦]، وبقذف حب رسول الله ﷺ في قلب جده، وتعهده إياه ﷺ بفضله، ورعايته سرعان ما آتت المنية جده، ليفارق الحياة ورسول الله ﷺ ما زال طفلًا في سن الثامنة[٣] وهنا قام بكفالته عمه أبو طالب، الشاهد أن رسول الله ﷺ مع سنواته الأولى افتقد حنان أبيه، ثم افتقد حنان أمه، ثم ما لبث أن أفتقد لحنان جده عبد المطلب ولأن والد الرسول لم يوسع الله عليه في الرزق، فمع السنوات الأولى من باكورة حياة رسول الله ﷺ اضطر للعمل برعي الأغنام لقريش، مقابل قراريط، ثم انتقل رسول الله ﷺ للعمل مع التاجرة الميسورة خديجة بنت خويلد، وذلك بتجارتها، ثم وسع الله على رسوله ﷺ بالرزق قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨].

وبملاحظة خديجة بنت خويلد لأمانته، وصدق تعامله أعربت له ﷺ عن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ٢٦٧).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (ج ١ ص ٢٣).

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي (ج ٩ ص ١٥٦).

رغبتها بأن تكون زوجةً له،(١) فرحب رسول الله ﷺ بطلبها، وتزوجها وكان ﷺ حينها في سن الخامسة والعشرين، بينما كانت خديجة بنت خويلد في سن الأربعين، ثم تمر الشهور، والسنين على رسول الله ﷺ وبحلول عمره الأربعين عامًا حُبب إليه الخلاء، في غار حراء، وحينها كان يذهب إلى هذا الغار، وليقضي فيه شهرًا كاملًا(٢) وذلك ليتفكر في ملكوت السموات، والأرض، وواقع ديانة بلده، وحينها كان الناس يعبدون التماثيل، والأصنام، ومنها يطلبون تحقيق مصالحهم، ودفع مضالمهم، وكان رسول الله ﷺ حينها كان رجلًا أميًا، لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يعرف عن الإسلام شيئًا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، وخلال تعبده في الغار نزل عليه الوحي، وخاطبه جبريل بقوله: «**أقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥]»، ثم شاء رب العالمين بتكليف رسوله ﷺ بنشر الدين الإسلامي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي (ج ١ ص ١٢٣).

(٢) الأمم والملوك للطبري (ج ١ ص ٥٣١).

ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، واقتضى نشر الدين الإسلامي التدرج، ابتداءً من عشيرته(١) ثم بعد ذلك لأبناء قريته، ثم القرى المحيطة بها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧]، ثم تم تكليفه ﷺ بنشر الإسلام للبشر كافة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩].

وبشروعه ﷺ في الأيام الأولى من حياة الإسلام بنشر دين خالقه لم يصدقه السواد الأعظم من عشيرته، بل تعدى عدم تصديقهم إلى اتهامه ﷺ بأنه كاذب، وأن ما يدعيه من كلام رب العالمين ما هو إلا افتراء من قبله، ولم يكتفوا بذلك فبعضهم أطلق عليه ﷺ بأنه مجنون، ومنهم من قال بأنه ساحر، وآخرون قالوا بأنه شاعر(٢) ولم يتعدَ أذاهم عند هذه الأوصاف، وخلال السنوات الأولى من نشره ﷺ لدين الإسلام صاعدت قريش من درجات إيذائها له ﷺ ولأصحابه الضعفاء ممن اعتنقوا الإسلام(٣) وبصموده ﷺ، وصمود أصحابه في تمكسهم

(١) المعرفة والتاريخ يوسف الفسوي (ج ٣ ص ٢٩٦).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (ج ٢٣ ص ٣٤).

(٣) المنتظر في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ج ٨ ص ١٤٢).

بدين خالقهم، ومواصلته لدعوة الناس إلى اعتناق دين خالقهم أجتهد كفار قريش في منعه ﷺ من مواصلة نشر الإسلام، عبر عمه أبي طالب، ووصل الحال بكفار قريش بأن يتآمروا على قتله ﷺ، وحينها فارق دياره وليهاجر منها إلى يثرب(١) بصحبة صاحبه أبي بكر الصديق، وباستقراره ﷺ فيها ومنها واصل عمله الدعوي، أي تبليغ رسالة خالقه، لكن كفار قريش لم يطب لهم الحال باستقرار رسول الله ﷺ في المدينة، فسرعان ما أجمعوا أمرهم بالقضاء على رسول الله ﷺ، ومعتنقي الإسلام، و ذلك بوصول قواتهم الحربية للمدينة المنورة، ومواجهتهم لرسول الله ﷺ، وأصحابه، وسرعان ما دارة الدائرة على قوات قريش، بهزيمتهم، وذلك بمعركة بدر، ثم كان للمهزومين انسحاب قواتهم، وليعودون إلى مكة المكرمة، جارين وراءهم أذيل الهزيمة(٢) لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، إذ كان لهم إعداد القوات الحربية، ثم إعادة الكرة على محاربة رسول الله ﷺ، وذلك بوصول قواتهم العسكرية المدينة كان لهم النصر على قوات رسول الله ﷺ، في معركة أحد، وبالرغم من هزيمة رسول الله ﷺ في هذه المعركة إلا أنه ظل ينشر الإسلام، انطلاقًا من مدينته، وبإصرار رسول الله ﷺ على نشر الإسلام كان لقادة قريش ومن تحالف معهم من اليهود والأعراب إعداد قواتهم العسكرية، ثم انطلاقهم بها صوب رسول الله ﷺ، وأصحابه، وبعزمهم المتأجج بالقضاء على رسول الله ﷺ، وأصحابه، في غزوة الأحزاب، إلا أن الهزيمة كانت قدرهم، ثم

(١) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ٢١٨).

(٢) تاريخ ابن الوردي (ج ١ ص ١٥٧).

الانسحاب بقواتهم من المدينة المنورة، الشاهد بمشاركة رسول الله ﷺ للكثير من المعارك الحربية، وتآمر المشركين، واليهود، والأحزاب، والمنافقين، على الفتك برسول الله ﷺ، وأصحابه من المنتمين للدين الإسلامي، إلا أن رب العالمين أيد رسوله ﷺ، وأصحابه بالنصر، ليواصل رسول الله ﷺ ما كلف به من نشر دين خالقه، وإلى أن أتته الوفاة، وحينها كان الإسلام قد عمّ معظم أراضي شبه الجزيرة العربية(١) باختتام هذا الموجز من سيرته ﷺ العطرة ننوه أن رسول الله ﷺ وصف بأن خلقه القرآن الكريم، أي حوى كل الفضائل التي وردت في آيات القرآن الكريم، ومنها أنه ﷺ صادق بالحديث، وافي للنذور، وافي بالعهود، رحيم القلب، صبور على كل من يؤذيه، صادق الوعد، كريم الأخلاق، لا ينهر الناس، ولا يظلمهم، ولا يتكبر عليهم، ولا يتطاول على بشر، بشش الوجه، رحيم بأصحابه، مجمل فضائله ﷺ يتلخص في قول رب العالمين﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

(١) أراضي شبه الجزيرة العربية تعرف حاليا بدول كل من السعودية الإمارات العربية المتحدة عمان قطر الكويت البحرين.

الخاتمة

بتقييم نمو الدين الإسلامي وانتشاره ابتداءً من مولده وإلى يومنا هذا أي خلال ما يزيد عن الألف والأربع مائة سنة يُرى ما يلي:

بكون الدين الإسلامي دين رب العالمين وتكفله بحفظه ونشره وبرغم كيد الكائدين وحقد الحاقدين عليه وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل انهائه أو تحجيمه وابتداءً من ولادته وإلى يومنا هذا لم ينالوا مرادهم، بل ورغمًا عنهم ظل ينمو، وينتشر وفي مختلف أصقاع الأرض، وليصل في عصرنا هذا إلى معظم دول القارات الست، ولتصل الدول التي معظم ساكنيها معتنقةً له: ٥٦ دولة عربية وإسلامية، وذلك من مجمل دول العالم المندرجة تحت منظمة الأمم المتحدة، إضافةً إلى ذلك انتشار الإسلام في غالبية دول القارات الست، وبنسب متفاوتة من ما دون النصف، من مجمل نسبة الديانات الرئيسة، أو الرسمية لتلك الدول، هذا الانتشار الكبير والذي تعدى ديانات العالم الرئيسة والمتمثلة بالديانتين السماويتين اليهودية، والنصرانية إضافةً إلى تعديه على بقية ديانات البشر الوضعية أفضى إلى ديمومة خلق العداء تجاهه، وتجاه المعتنقين له، وذلك من قبل بعض المنتمين لتلك الديانات، ومن صور ذاك العداء ما يُعرف حاليًا بالجهود التي تبذل في سبيل تصوير الدين الإسلامي بأنه دين ارهابي، وأن منهجه يربي معتنقيه على خلق العداء تجاه الكافرين به، ومن ثم اباحة دمهم، ولم يقف ترويجهم عند هذا الحد بل كان لبعضهم أن أنشأوا منظمات سرية تتمحور أهدافها في محاربة الدين

الإسلامي، وتشويهه، وذلك عبر فئات من المنتمين له، ومن خلال تلك المنظمات والفهم القاصر لتعاليم الدين الإسلامي من قبل تلك الفئات كان لهم الإقدام بالأعمال الإجرامية، الإرهابية، وذلك بقتلهم العشرات، وأحيانًا تتعدى المئات من البشر الأبرياء، من معتنقي الإسلام أو من سواهم من معتنقي الديانات الأخرى، وذلك بتفجير أنفسهم من خلال الأحزمة الناسفة، أو عبر تفخيخهم للسيارات، أو الناقلات الثقيلة، تلك الجرائم البشعة وسواءً أكانت من قبل الحاقدين على الدين الإسلامي أو كانت من قبل منتمي الدين الإسلامي أعطت صورة مشوهة عن الإسلام، وذلك لدى الكثير من الشعوب الغربية، وبغض النظر عن تحقيق أهداف المنظمات المعادية للإسلام فإن الدين الإسلامي بريء عن تلك الممارسات البشعة، في حق الإنسانية، وأن تعاليمه المتمثلة بمنهجه الرباني المتجسد في القرآن الكريم، وما ثبت عن رسوله محمد بن عبد الله ﷺ يدعي إلى حرمة الدم البشري، وإلى التعايش مع البشر كافة، وأي كانت ديانتهم، بل إن تعاليمه يحث المنتسبين له بأن يحسنوا لجيرانهم من معتنقي الديانات الأخرى، ويتفقدوا أحوالهم، فإن كانوا في خوف من حالهم عملوا على تأمينهم، وإن كانوا في عسرة من ضيق حالهم دعموهم اقتصاديًا، وذلك في حياتهم، وأما الحساب على من يخالفهم في الدين فهو موكول إلى خالقهم، وفي الحياة الأبدية، بتلك التوجهات الربانية ومهما بلغ جهد أعداء الإسلام في تشويهه وسواءً أكان ذاك الجهد من الكافرين به، أو من قبل معتنقي الدين الإسلامي من ذوي أصحاب الفهم القاصر للدين الإسلامي وتعاليمه السمحة سيظل الإسلام نابذًا لكل الأعمال الإجرامية، داعيًا البشر كافة وبما فيهم معتنقيه ليدخلون في السلم كافة،

وبذلك لن يضر الإسلام حقد الحاقدين، ولا كيد الكائدين، ولا حتى المجرمين في حقه من قبل المنتمين له، وعبر منهج رب العالمين ومنطلقًا من موجهاته مع كل جهدٍ يُوجه في محاربته سيكون لأولئك ومن قبل معتنقه التصدي لهم، وتعرية حججهم الواهية، وتعريف العالم وبأسره بأن دين رب العالمين دين السلام، دين الرحمة، دين التكافل الاجتماعي، دين العزة والريادة، دين التعايش وبسلام ما بين منتميه وبين منتمي الأديان الأخرى، هذه الصورة الواضحة المعالم ما حاولنا ايضاحها في كتابنا هذا، إضافة إلى إيضاح جوهر الدين الإسلامي، وأبعاده الإنسانية، سائلًا من الله أن يتقبل منا هذا الجهد، وأن يتغمدنا برحمته، وفضله إذا ما عدنا إليه، وصرنا بين يديه.

فهرس المصادر

١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، الناشر: دار الراية للنشر - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٢) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

٣) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

٤) الْأَرْبَعُوْنَ الصُّغْرَى، أَحْمَد بْن الْحُسَيْن بْنِ عَلِيٍّ، الْبَيْهَقِيُّ، أَبُوْ بَكْر، دَارُ الْكِتَاب الْعَرَبِيِّ بَيْرُوْت، الطَّبْعَةُ الْأُوْلَى: ١٤٠٨ هـ.

٥) الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: ١٤٢١ هـ.

٦) الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي - جدة، الطبعة: الأولى.

٧) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، الناشر: دار المعارف - القاهرة.

٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣.

٩) الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣.

١٠) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

١١) الإيمان لابن منده، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.

١٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٣) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان، سنة النشر: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: طبعة جديدة محققة/ الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٥) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٦) تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، مكان النشر: لبنان/ بيروت.

١٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.، دار النشر: دار الكتاب العربي.، مكان النشر: لبنان/ بيروت.، سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.، الطبعة: الأولى..

١٨) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

١٩) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، الناشر: دار النفائس، مكان النشر: بيروت.

٢٠) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، الناشر: مطبعة المدني، سنة النشر: ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، مكان النشر: القاهرة.

٢١) تاريخ دمشق، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي، الناشر: دار حسان للطباعة والنشر، لصاحبها عبد الهادي حرصوني - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٢) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٣) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤.

٢٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر/ دار إحياء التراث العربى.
٢٥) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الناشر: مطبعة المدني، مكان النشر: القاهرة.
٢٦) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار هجر.، الطبعة: الأولى.
٢٧) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٢٨) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حسب ترقيم فتح الباري، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٢٩) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري، الناشر: دار ابن الجوزي، سنة النشر: ١٩٩٦ م، مكان النشر: السعودية.
٣٠) جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
٣١) الحاوى الكبير، العلامة أبو الحسن الماوردى، دار النشر: دار الفكر بيروت.
٣٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار هجر - مصر، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
٣٣) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر:

دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

٣٤) رسالة التوحيد، محمد عبده، الناشر: مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٦٦.

٣٥) رياض الجنة بتخريج أصول السنة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، سنة النشر: ١٤١٥ هـ.

٣٦) السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م.

٣٧) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٣٨) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٣٩) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الجوهر النقي: لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الطبعة: الأولى ١٣٤٤ هـ.

٤٠) سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٤١) سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢.

٤٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١.

٤٤) شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.

٤٥) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٦) الشمائل، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢.

٤٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٤٨) صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠ - ١٩٧٠.

٤٩) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الهندية.

٥٠) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٥١) العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري الهندي، الطبعة: الأولى، المدقق: مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع.

٥٢) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، الناشر: دار الجيل بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٥٤) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.

٥٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٩٩٤ م.

٥٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

٥٧) كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٥٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،، الناشر: دار النشر/ دار الوطن -، الرياض - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٥٩) لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت.
٦٠) لمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
٦١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.
٦٢) المحن، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، سنة الوفاة ٣٣ هـ - ٩٤٤ م، الناشر: دار العلوم، سنة النشر: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، مكان النشر: الرياض - السعودية.
٦٣) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
٦٤) مسند أبي عوانة، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر: بيروت.
٦٥) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
٦٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.
٦٧) مسند الإمام عبد الله بن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.

٦٨) مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م.

٦٩) مسند الشاشي، لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠.

٧٠) مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.

٧١) مسند الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٧٢) مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: ١٤٠٤.

٧٣) مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

٧٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٧٥) معجم الشيوخ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار البشائر/ دمشق.

٧٦) المُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبْرَانِيِّ، سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٧٧) معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٧٨) المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٩) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٨٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨ هـ.

٨١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٨٢) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبيارى، الناشر: موسسة سجل العرب، سنة الطبع: ١٤٠٥ ق.

٨٣) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - مصر.

فهرس الموضوعات

الإهداء ٥
الإسلام ٦
الدخول بالإسلام ٦

المقدمة ٧
مكونات الكتاب ٩

الباب الأول مسوغات الدخول بالإسلام ١٣
الفصل الأول المسوغات التي تحارب الجريمة ١٣
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ١٣
في ظل الإسلام عدوك كأنه أكبر صديق ١٤
جزاء قاتل النفس البشرية في ميزان الإسلام ١٥
في ظل الإسلام اشهد على نفسك ١٨
جزاء قتل الإنسان لنفسه ١٩
أول قاتل من البشر ٢٠
رد العدوان في ميزان الإسلام ٢١
من يرتكب جريمة ويلصقها ببريء في ميزان الإسلام ٢٢
الظلمة في ميزان الإسلام ٢٣
قاطع الطريق في ميزان الإسلام ٢٥
شهادة الزور في ميزان الإسلام ٢٦
مظاليم السجون في ميزان الإسلام ٢٧
عاقبة الغادرين في ميزان الإسلام ٢٩
البغي في ميزان الإسلام ٢٩

معيار كسب الحسنات والسيئات مثقال ذرة ٣١
الوفاء بالعقود في ميزان الإسلام ٣٣
الجاسوس في ميزان الإسلام ٣٣
النمام في ميزان الإسلام ٣٤
اجتناب الظن في ظل الإسلام ٣٥
المنان في ميزان الإسلام ٣٦
الخيانة في ميزان الإسلام ٣٧
الكبر في ميزان الإسلام ٣٨
التنابز بالألقاب في ميزان الإسلام ٣٩
الوفاء بالعهد في ظل الإسلام ٤٠
التجسس على الناس في ميزان الإسلام ٤١
الكذب في ميزان الإسلام ٤١
السخرية والاستهزاء بالناس في ميزان الإسلام ٤٣

الفصل الثاني المسوغات الأسرية ٤٥

حق الوالدين في ظل الإسلام ٤٥
تميز الآباء لبعض أبناءهم في ظل الإسلام ٤٧
حق المرأة في ميزان الإسلام ٤٨
الحل تجاه المرأة الناشزة على زوجها ٥٢
سبب عدم انجاب بعض الناس والنساء للأطفال ٥٤
النساء اللاتي يُحرم الزواج بهن ٥٦
البيوت التي يباح فيها تناول الطعام ٥٧
في ظل الإسلام لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه ٥٨
من أفسد امرأة على زوجها في ميزان الإسلام ٥٩

الفصل الثالث المسوغات الاجتماعية ٦٠

استعباد العباد في ميزان الإسلام ٦٠

اليتامى في ظل الإسلام ٦٢
الرحم في ظل الإسلام ٦٤
حق الجار في ميزان الإسلام ٦٥
البر في ظل الإسلام ٦٧
الإسلام يحث على إطعام أشد الناس فقرًا ٦٧

الفصل الرابع المسوغات الأخلاقية ٦٩
التواضع في ميزان الإسلام ٦٩
الرحمة في ظل الإسلام ٧٠
في ظل الإسلام وقولوا للناس حسنًا ٧١
سباب المسلم في ميزان الإسلام ٧٢
في ظل الإسلام اغفر للناس جرائمهم ٧٣
الإسلام يوجه منتميه بأن يغفروا للكفار جرائمهم ٧٤
الشكر في ظل الإسلام ٧٤
الصبر في ظل الإسلام ٧٥
الصبر على مكر الماكرين ٧٦
تصرف رسول الله ﷺ حيال الرجل الذي بال في المسجد ٧٧
تحية معتنقي الإسلام ٧٨
تحقير الناس في ميزان الإسلام ٧٨
الهمز واللمز في ميزان الإسلام ٧٩
حق الحيوانات في ميزان الإسلام ٨٠
في ظل الإسلام الزم الصدق ٨١
الرياء في ميزان الإسلام ٨٢

الفصل الخامس الجنس في الإسلام ٨٥
الزنا في ميزان الإسلام ٨٥

إتيان الذكور في ميزان الإسلام ٨٨
المروجون للفواحش في ميزان الإسلام ٨٩
الأخلاء في نظر الإسلام ٩٠

الفصل السادس المعاملات المالية في الإسلام ٩٤
الحصول على المال في ضوء الإسلام ٩٤
الغش في بيع السلع في ميزان الإسلام ٩٥
الربا في ميزان الإسلام ٩٧
المطفف بالميزان في ميزان الإسلام ٩٧
الرشوة في ميزان الإسلام ٩٨
مغبة أكل مال الحرام في ميزان الإسلام ١٠٠
السارق أو السارقة في ميزان الإسلام ١٠١

الفصل السابع المسوغات الصحية ١٠٣
الأمراض النفسية في ظل الإسلام ١٠٣
مريض الجسد في ظل الإسلام ١٠٥
الطيبات من الرزق في ظل الإسلام ١٠٧
ما الذي حرمه رب العالمين على عباده ١٠٨

الفصل الثامن مسوغات الاهتمام بالعقل والروح ١٠٩
العلم في ظل الإسلام ١٠٩
التوبة من الذنوب في ظل الإسلام ١١١
أول إنسان مخلوق ١١٤
مراحل خلق البشر في بطون أمهاتهم ١١٥
أول مخلوق عصى خالقه ١١٦
أول عاص لرب العالمين من البشر ١١٦
أعداء الإنسان ١١٨

العدو الثالث شياطين الإنس ١٢٠
العدو الرابع النفس الأمارة بالسوء ١٢١
التوكل على رب العالمين في ميزان الإسلام ١٢١
في ظل الإسلام يدافع الله عن المؤمنين ١٢٣
الأمن من مكر رب العالمين في ظل الإسلام ١٢٤
مفرج الكربات ١٢٦
نزول المصائب على فئات من الناس ١٢٧

الفصل التاسع المسوغات العقدية ١٣٠

إله واحد أم أرباب متفرقون ١٣٠
الهدف من خلق عالم البشر والجان ١٣١
الإسلام يحبُّ ما قبله ١٣١
مدى سعة علم رب العالمين ١٣٢
تحريم ما أحله أو افترضه رب العالمين في ميزان الإسلام ١٣٣
الإيمان والعمل في ظل الإسلام ١٣٤
ما هي جهنم؟! ١٣٥
تعلم السحر وممارسته بنظر الإسلام ١٣٦
الشرك الذي لا يُغفر ١٣٧
هل الإنسان مخير في ممارسة أقواله وأفعاله ١٣٧
هل الإنسان مجبر في ممارسة أعماله ١٣٩
هل كل أعمال البشر وكل شيء بإرادة رب العالمين ١٤٠

الباب الثاني: أركان الإسلام والإيمان ١٤٣

أولاً: أركان الإسلام. ١٤٣
الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ١٤٣
الركن الثاني من أركان الإسلام: الصلاة. ١٤٤

الركن الثالث من أركان الإسلام: الزكاة. ١٤٥
الركن الرابع من أركان الإسلام: صوم رمضان. ١٤٦
الركن الخامس من أركان الإسلام: الحج. ١٤٧
أركان الإيمان ١٤٨
الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله. ١٤٩
الإيمان بصفات رب العالمين ١٥٠
الركن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة. ١٥٢
عالم الجان ١٥٧
الركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب السماوية. ١٦٢
صحف إبراهيم ١٦٢
التوراة ١٦٢
زبور داود عليه السلام ١٦٣
الإنجيل ١٦٤
القرآن الكريم ١٦٤
الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان بالرسل والأنبياء. ١٦٥
الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر. ١٦٦
الموت ١٦٧
هل أثناء الموت يشعر الميت بالآلام؟ ١٦٨
دابة تكلم البشر ١٦٩
النفخ في الصور ١٧٠
البعث من القبور ١٧٠
الساعة - القيامة وحوادثها ١٧١
ورود جهنم ١٧٢
حساب البشر ١٧٣
من نعيم الجنة ١٧٦

من عذاب مستحقي نار جهنم ١٧٨
من حوار قاطني الجنة والنار ١٨٠
الركن السادس من أركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر. ١٨٢

الباب الثالث الملك والحكم على ضوء الإسلام ١٨٤

السلطة التنفيذية في ضوء الإسلام ١٨٥
السلطة التشريعية على ضوء الإسلام ١٨٨
الإسلام يسن القوانين المنظمة للبشر ١٩٠
قانون قتل النفس البشري ظلمًا وعدوانًا ١٩٠
قانون حد ارتكاب جريمة السرقة ١٩١
قانون إتلاف العين أو الأذن أو الأنف أوالسن ١٩١
قضية المواريث ١٩٢
قانون استحقاق إرث الذكر بالنسبة للأنثى ١٩٢
قانون الكلالة ١٩٢
ومن أبرز القوانين الربانية المنظمة لاستحقاق الميراث ١٩٢
قانون إرث الرجل لزوجته ١٩٣
قانون إرث المرأة لزوجها ١٩٣
قانون تعدد الزوجات ١٩٣
قانون إمكانية أن يأكل الزوج من مال زوجته ١٩٤
قانون الطلاق ١٩٤
قانون رعاية الطفل ١٩٤
قانون التعامل مع أسرى الحرب ١٩٤
قانون كفارة اليمين ١٩٥
قانون تحريم الرجل على نفسه زوجته واعتبارها كأمه ١٩٦
قانون كفارة الممتنع عن جماع زوجته بيمين ١٩٦
قانون قتال الطائفة الباغية ١٩٦

السلطة القضائية في ضوء الإسلام ١٩٨
النظام الذي كُلف به أول خليفة راشدي في قيادة المسلمين ٢٠٠

الباب الرابع الإسلام موجه للبشر كافة ٢٠٤
دعوة معتنقي اليهودية لاعتناق الإسلام ٢٠٤
دعوة معتنقي الديانة النصرانية لاعتناق الإسلام ٢٠٧
دعوة المشركين لاعتناق الإسلام ٢٠٩
دعوة البشر كافة لاعتناق الإسلام ٢١٠
من يبتغي غير الإسلام دينًا ٢١٠
المرتد عن الدين الإسلامي ٢١١
انتشار الإسلام إلى مختلف دول العالم ٢١٢
محمد بن عبدالله ٢١٦

الخاتمة ٢٢٢
فهرس المصادر ٢٢٥
فهرس الموضوعات ٢٣٥